New Social Movements and Collective Identity The April 6th Youth Movement

Sayed M. Fares

Abstract: Since the January 25 Revolution, Egyptian society experiences a period of increased protest activity involving one or more issues and many protesting groups and movements. And since then, protest cycles develop a sharp peak and then decline. New social movements played a pivotal role in instigating protest activity before and after the revolution, and became a principal source of political and cultural change. These movements mold a collective identity sustains the development of the movement, processes of recruitment and mobilization, belonging, and commitment to movement'sgoals. Therefore the present qualitative study focuses on investigating:(1) The role of movement's internal culture in molding and reproducing collective identity. (2) The impact of collective identity upon the development of the social movement, processes of recruitment and mobilization, and strategies. (3) Exploring the mechanisms and processes of collective identity formation. The present study used an anthropological qualitative methodology relied upon participant observation and Semistructured interviews for data collection. And it was moreover oriented by new social movement theory as a theoretical framework. The findings revealed that:(1) the social movement molds a collective identity regarded as one of the cultural outcomes of the movement, and contributes to mobilization; sustains belonging or affiliation and commitment to movement's goals and ends; and strengthens collective solidarity. (2) collective identity is a cultural representation, a set of shared cultural meanings, produced and reproduced, negotiated and renegotiated in the interactions of individuals embedded in specific sociocultural contexts.

Keywords: New social movements, Collective identity, Mechanisms and processes of identity formation.

الحركات الاجتماعية الجديدة والهوية الجمعية
حركة شباب السادس من أبريل نموذجاً

سيد محمد فارس(*)

ملخص: يشهد المجتمع المصري منذ ثورة يناير فترة من النشاط الاحتجاجي المتزايد الذي يشمل قضية أو أكثر، والعديد من الجماعات والحركات الاحتجاجية. ومنذ ذلك الحين تتسع دوائر الاحتجاج، ثم تنحسر. وقد أدت الحركات الاجتماعية الجديدة دوراً مؤثراً في إطلاق وإثارة النشاط الاحتجاجي قبيل ثورة يناير وبعدها، وصارت مصدراً رئيساً للتغير السياسي والثقافي. وتشكل الحركة الاجتماعية الجديدة هوية جمعية تدعم تطور الحركة، وعمليات التجنيد والتعبئة، والانتماء والالتزام بأهداف الحركة. لذلك يركز هذا البحث على: (1) تعرف دور ثقافة الحركة الداخلية في تشكيل الهوية الجمعية وإعادة إنتاجها. (2) بحث تأثير الهوية الجمعية في تطور الحركة، وعمليات التجنيد والتعبئة، والإستراتيجيات. (3) استيضاح ميكانزمات وعمليات تشكيل الهوية الجمعية. وقد توسل البحث بمنهجية أنثروبولوجية كيفية، ارتكزت في جمع البيانات على أدوات الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات شبه الموجهة. وانطلق من إطار نظري موجه قوامه نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة. وقد خلص إلى نتائج عدة، من أهمها: (1) تشكل الحركة الاجتماعية هوية جمعية تعتبر إحدى نتائج الحركة الثقافية، وتسهم في التعبئة، وتدعم الانتماء والالتزام بأهدافها وغاياتها، وتعزز التضامن الجمعي. (2) الهوية الجمعية تمثيل ثقافي، مجموعة من المعاني المشتركة التي تنتج ويعاد إنتاجها، وتتفاوض ويعاد تفاوضها، في تفاعلات الأفراد المطمورة في سياقات سسيوثقافية معينة.

المصطلحات الأساسية: الحركات الاجتماعية الجديدة، الهوية الجمعية، ميكانزمات وعمليات تشكيل الهوية.

مقدمة:

صارت الحركات الاجتماعية الجديدة جزءاً لا يتجزأ من الحياة المعاصرة، تهدف إلى إحداث تغيرات متنوعة، والتأثير في القيم الثقافية والاجتماعية السائدة

(*) مدرس الأنثروبولوجيا، كلية الآداب، جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية. sayedfaris2006@yahoo.com.

في المجتمع وتغييرها. وتشكل هذه الحركات، في الوقت نفسه، نسقاً قيمياً فذاً يوجه تفكير أعضائها وسلوكهم. وقد شهد المجتمع المصري قبيل ثورة يناير وفي أعقابها فترات من النشاط الاحتجاجي الضافي وانديا حاً لدوائر الاحتجاج، وبروز كثرة هائلة من الحركات الاحتجاجية الجديدة.

وتطرح الحركات الاجتماعية الجديدة بديلاً لنوع من السياسة، فقد العديد من المواطنين في الديمقراطيات الليبرالية الإيمان به (Gledhill, 2000: 184). وتؤكد مشروعية (إن لم يكن أولوية) وجود بدائل للديمقراطية البرلمانية، وتنتقد كل من الديمقراطية الليبرالية، و"الديمقراطية المنظمة" التي تمارسها الأحزاب السياسية. بتعبير أوضح تؤكد الحركات الاجتماعية نظام الديمقراطية المباشرة direct democracy الأقرب إلى اهتمامات الناس، لا على الديمقراطية الليبرالية التي ترتكز على تفويض ممثلين يمكن السيطرة عليهم فقط في لحظة الانتخاب (Della Porta & Diani, 2006: 239). إذن، يخلق المشاركون في الحركات الاجتماعية رؤى بديلة للديمقراطية (Paley, 2002: 484). وتنشأ الحركات الاجتماعية الجديدة من القاعدة grassroots بصورة تلقائية بحثاً عن العدالة الاجتماعية، وحقوق أخرى (Gledhill, 2000: 184). وتعيد، في بلدان كثيرة، اختراع اتجاه ومعنى التنمية و"السياسي" (Motta & Nilsen, 2011: 2).

وتتسلط البحوث والدراسات المعاصرة التي تقارب الحركات الاجتماعية على نمو الهوية الجمعية للحركة وتشكلها (Klatch, 2002: 189). ويركز الباحثون على مركزية الهوية الجمعية بالنسبة إلى المشاركة في الحركة (Robnett, 2002: 276)؛ إذ تكترث الحركات الاجتماعية الجديدة بقضايا الهوية (Whooley, 2007: 586)، بل تعد دعاوى الهوية سمة مميزة لهذه الحركات بطرق متعددة (Pichardo, 1997: 414). بيد أنه بمعنى معين حلت الهوية الجمعية محل الوعي الطبقي باعتبارها عاملاً يفسر التعبئة، والارتباطات الفردية بالحركات الاجتماعية (Hunt & Benford, 2004: 437).

ويعتبر التركيز على الهوية فذاً في الحركات الجديدة؛ لأن سياسات الهوية تعبر أيضاً عن اعتقاد مؤداه أن الهوية تمثل بؤرة العمل السياسي، وينبغي أن تكون كذلك (Pichardo, 1997: 414). وتؤكد منظورات الحركة الاجتماعية الجديدة أن البحث الجمعي عن هوية يمثل مظهراً رئيساً من مظاهر تشكيل الحركة الاجتماعية (Hunt & Benford, 2004: 437). ويعد التركيب الاجتماعي لهوية جمعية دالة أو ذات معنى من الناحية الرمزية – إنجازاً رئيساً للحركات الاجتماعية الجديدة ومستلزماً من

مستلزمات تحقيق أهدافها (Buechler, 2007: 3209). والحقيقة أن من بين الأشياء التي تميز الحركات الاجتماعية الجديدة عن صور الفعل الجمعي الأخرى، الشعور بهوية جمعية، أو صورة ذاتية جماعية group self-image تتبلور وتُغرس، وتتفاوض من خلال أعضاء حركة معينة بصورة مستمرة (Wienclaw& Howson, 2011: 40).

الأهمية النظرية والتطبيقية للبحث:

تتسلط بحوث الأنثروبولوجيا النفسية المعاصرة على إشكالية الهوية، وذلك بتأثير النقد ما بعد الحداثي لنظريات الهوية المتعارف عليها، وتحويله بؤرة الاهتمام بعيداً عن الأبنية والحقائق الموضوعية باتجاه الخبرة الذاتية. ويثير أنثروبولوجيو ما بعد الحداثة نقاشاً وجدلاً مستفيضاً حول "أزمة الهوية" في عالم ما بعد الحداثة المعولم، وإشكالية كون الهوية ثابتة (النزعة الجوهرية Essentialism)، أم متغيرة وموقفية ومتعددة وديناميه (النزعة التركيبية الاجتماعية Social Constructionism)[1]. ويحقق بحث الحركات الاجتماعية مقاربة واختباراً للتصورات المعاصرة للهوية.

(1) تمثل التركيبية الاجتماعية Social constructionism مجموعة من النظريات والمفهومات الرائجة في علم الاجتماع المعاصر وميادين معرفية أخرى، وتسعى إلى استيضاح وتفسير الظواهر والحوادث الاجتماعية على أساس سياقها التاريخي، وبنيتها (إطارها) الاجتماعي. وبذلك تسعى النظرية التركيبية إلى استجلاء الكيفية التي من خلالها تتركب أو تتشكل الحوادث الطبيعية ظاهرياً عن طريق تاريخ الأفعال والتفاعلات الإنسانية. وتدحض النظرية التركيبية على هذا النحو فروض النزعة الجوهرية ssentialism والمذهب الواقعي realism، التي مؤداها أن عالماً موضوعياً خارجياً يوجد ويتموضع خارج فئات الإدراك والتأويل التي نمتلكها. وتمثل النظرية التركيبية الاجتماعية، في نظر البعض، نموذجاً إرشادياً يرتكز على سعي إلى الكشف عن الأساليب التي يشارك من خلالها الأفراد والجماعات في إيجاد عالمهم المُدرك. ويتضمن هذا الاتجاه فحص الكيفية التي من خلالها تتخلق وتتشكل الظواهر الاجتماعية، وتتمأسس وتتحول إلى تقليد متفق عليه ويحظى بإجماع. ويُنظر إلى التركيب الاجتماعي باعتباره عملية مستمرة؛ إذ يعاد إنتاج الواقع عن طريق تفاعلات الأفراد ومعرفتهم بهذا الواقع. إن التركيبية الاجتماعية تمثل جزءاً من نقلة نسبية في العلوم الاجتماعية تؤشر على أن فئات المعرفة وأشكالها سياقية. إذ تؤكد أن المعرفة العلمية والخطابات البيولوجية عن الجسد والصحة والمرض تنتجها المصالح الذاتية والمحددة تاريخياً، وتكون عرضة للتغير وإعادة التأويل. معنى ذلك أن كل المعرفة نتاج للتفاعل والتأويل الإنساني. وأن المعرفة ليست عامة أو ثابتة، وغير محايدة، ولكنها تتغير دوماً في استجابة للعلاقات الاجتماعية، كما أنها تمثل نتاجاً لعلاقات القوة. ولا تعتبر هذه النظرية المعرفة واقعاً عاماً أو كونياً ومستقلاً، ولكن تعتبرها شريكاً في بناء الواقع وتركيبه. وينظر إلى الفاعلين أو البشر باعتبارهم يتشكلون في الخطابات والممارسات الاجتماعية التي لها تاريخ مركب، ومن خلالها. تشكك التركيبية الاجتماعية - إذن - في ادعاءات وجود حقائق جوهرية. وتؤكد أن ما يعتبر حقيقة هو نتاج لعلاقات القوة، ومن ثم فالحقيقة غير محايدة على الإطلاق، إذ تحقق دوماً مصالح شخص أو جماعة معينة (Sandvoss, 2006: 269; Hughey, 2008: 866; Gabe, et al., 2004: 130 - 131).

لقد صارت الحركات الاجتماعية جزءاً من الحياة المعاصرة في العديد من المجتمعات، ومصدراً رئيساً للتغير السياسي والثقافي عالمياً. ونظراً لأن الحركات الاجتماعية واسعة الانتشار، وتمتلك القدرة على إحداث تغيرات هائلة، بل لقد قادت بالفعل إلى العديد من التغيرات المثيرة والفجائية في المجتمعات حول العالم، فإن الباحثين قد أنفقوا الكثير من الوقت يحاولون فهم مصدر هذه الحركات، والمشاركين فيها، وكيف نجحت، وكيف أخفقت؟ (Johnston& Klandermans, 2004: 5).

وقد قادت الحركات الاجتماعية الجديدة في مصر إلى تغيرات مثيرة وفجائية تمثلت في ثورة يناير التي أطاحت بنظام الرئيس السابق حسني مبارك، وثورة الثلاثين من يونيو التي قوّضت نظام الإخوان المسلمين. بل يمكن الدفع بأن ثورة يناير هي ذروة الصراع بين الحركات الاجتماعية الجديدة والدولة أو النظام، الذي أطلقت شرارته حركتا كفاية عام 2005، والسادس من أبريل عام 2008.

وتؤثر الحركات الاجتماعية الجديدة في الخطاب العام، والثقافة السياسية؛ خاصة بين جيل الشباب مستخدمي الإنترنت. ويُتوقع أن يتفاقم دور هذه الحركات وتأثيرها في المستقبل في إحداث التغيير السياسي والثقافي والاجتماعي خاصة في ظل ضعف الأطر الحزبية، وطغيان الارتياب السياسي political mistrust. إضافة إلى الإتاحة البيوجرافية biographical availability المرتفعة التي توسم غالبية الشباب المصريين، وتعرف بأنها "غياب الضغوط أو الاضطرارات الشخصية التي قد تزيد من تكاليف ومخاطر المشاركة في حركة اجتماعية، مثل المهنة، والزواج، والمسؤوليات الأسرية" (Lim, 2012: 235). وتزيد الإتاحة البيوجرافية من احتمالية مشاركة الشباب في الأنشطة عالية التكلفة، والاحتجاجات، وتكوين حركات احتجاجية. يجعل كل ذلك من بحث هذه الحركات (مصدرها، والمشاركين فيها، ونجاحاتها وإخفاقاتها، وأبنية التعبئة وعملياتها، والديناميات الداخلية للأبنية الرسمية للحركة، وسمات ثقافة الحركة الاجتماعية، وتشكيل الهوية) ضرورة ملحة، خاصة بعد أن صار الاحتجاج، وفعل الاحتجاج الجمعي سمة بارزة تسم الحياة السياسية المصرية المعاصرة.

تساؤلات البحث، وأهدافه:

تتمحور مشكلة البحث حول تساؤل رئيس: ما الدور الذي تؤديه الهوية الجمعية في الحركات الاجتماعية الجديدة؟وعليه تحددت أهداف هذا البحث على النحو الآتي:

1 – تعرف دور ثقافة الحركة الداخلية أو الفرعية في تشكيل الهوية الجمعية وإعادة إنتاجها.

2 – بحث تأثير الهوية الجمعية في تطور الحركة، وعمليات التجنيد، والتعبئة.

3 – استيضاح ميكانزمات وعمليات تشكيل الهوية الجمعية.

أولاً – الإطار النظري:

يتوسل هذا البحث بنظرية الحركة الاجتماعية الجديدة New Social Movement Theory (NSMT) التي تشير إلى نموذج إرشادي جديد لتفسير نشاط الحركة الاجتماعية، والفعل الجمعي. ويتيح هذا النموذج الإرشادي دراسة العناصر الخارجية الكبرى macro والعناصر الداخلية الصغرى micro (Flynn, 2011: 88-89)، فعلى مستوى الماكرو، يركز هذا النموذج الإرشادي على العلاقة بين ظهور الحركات الاجتماعية المعاصرة والبناء الاقتصادي الأوسع، ودور الثقافة في تلك الحركات. وعلى مستوى الميكرو، يهتم هذا النموذج بكيفية تغلغل قضايا الهوية والسلوك الشخصي في الحركات الاجتماعية. ويطرح نموذج الحركة الاجتماعية الجديدة رؤية محددة تاريخياً للحركات الاجتماعية الجديدة باعتبارها ترتبط بأشكال جديدة لراديكالية الطبقة الوسطى (Pichardo, 1997: 411). وقد وظفت نظريات الحركة الاجتماعية الجديدة فكرة الهوية الجمعية لتفسير تشكل الفاعلين الجمعيين (Goldberg, 2005: 267).

نشأت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة في ثمانينيات القرن الماضي في أوروبا الغربية بقصد تحليل الأنماط الجديدة للحركات الاجتماعية، مثل حركة مناهضة الحروب وحركات البيئة وحركة الحقوق المدنية والحركات النسوية، التي تتشكل منذ الخمسينيات – وحتى الآن – كرد فعل للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية (Buechler, 2007: 3208; Flynn, 2011: 95)، أو كاستجابات للتحولات في البناء الاقتصادي والسياسي في أوروبا وأمريكا الشمالية بعد الحرب العالمية الثانية (Wienclaw & Howson, 2011: 40). ومثلما جادل الماركسيون بأن الحركة العمالية القديمة كانت استجابة منطقية للرأسمالية الصناعية، يحاج منظرو الحركة الاجتماعية الجديدة بأن الحركات الجديدة تمثل استجابات منطقية لتشكيلة اجتماعية جديدة تعرف بالمجتمع ما بعد الصناعي، والمرتكز على المعلومات، وما بعد الحداثي، والرأسمالي المتقدم (Buechler, 2007: 3208). وفي هذا المجتمع تكون

ممارسة القوة متشظية وموزعة، بمعنى أن المؤسسات السياسية والاقتصادية لم تعد هي المراكز الوحيدة للسيطرة والهيمنة، وتمثل الحركات الاجتماعية أدوات ووسائل للتغير الثقافي(Taylor & Whittier, 2004: 181).

والحركات الاجتماعية الجديدة هي مجموعة مترابطة على نحو غير وثيق أو غير محكم من الأفعال الجمعية، حلت محل الحركة الاجتماعية التقليدية لثورة البروليتاريا (Eyerman, 2009: 89). وقد اعتبرت هذه الحركات "جديدة" في مقابل حركة الطبقة العاملة "القديمة" التي وُصفت في النظرية الماركسية بأنها التحدي الرئيس والأبرز الذي يجابه المجتمع الرأسمالي (Buechler, 2007: 3208). وقد ابتعدت نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة عن الأطر الماركسية بقصد فهم كثرة متنوعة من الحركات الاجتماعية التي ظهرت في الستينيات والسبعينيات، ولم تكن منظمة ظاهرياً حول الطبقة الاجتماعية(Bernstein, 2005: 53 - 54)، وذلك بعد أن اقتربت حركة الطبقة العاملة من نهايتها كحركة اجتماعية (Wieviorka, 2005: 5).

وعلى النقيض من حركة الطبقة العاملة القديمة انتظمت الحركات الاجتماعية الجديدة حول السلالة race، والعرقية، والشباب، والحياة الجنسانية sexuality، والثقافات المضادة، والنزعة البيئية، ونزعة السلام ومناهضة العنف والحروب pacifism، وحقوق الإنسان، وغير ذلك (Buechler, 2007: 3208). وعلى الرغم من أن منظور الحركة الاجتماعية الجديدة يعترف بالحركات الاجتماعية بوصفها صوراً من الفعل الجمعي مندمجة ومندغمة في الاحتجاج السياسي والاجتماعي، فإنه يؤكد أن مثل هذه الحركات تنخرط في صراعات على المعنى، ووسائل الإنتاج الثقافي (Wienclaw & Howson, 2011: 40).

ويحاجّ البعض بأن الحركات الاجتماعية الجديدة نتاج لعصر ما بعد المادية postmaterial age(Kuper & Kuper, 2005: 1362)، وأن مطالب الحركة الاجتماعية الجديدة قد تحولت بعيداً عن القضايا الأداتية الخاصة بالتصنيع إلى قضايا نوعية الحياة الخاصة بما بعد المادية (Pichardo, 1997: 412). وقد ظهرت في مجال الحياة اليومية، لا في مجال الإنتاج. وتتميز هذه الحركات باهتمام بالهوية الشخصية بدرجة أكبر من الاهتمام بإعادة توزيع الثروة أو القوة (Eyerman, 2009: 579).

وتتميز الحركات الاجتماعية الجديدة بأيديولوجيا، وبناء، وإستراتيجيات، وأهداف، وتكتيكات، وعضوية مختلفة ومتمايزة عن الحركات الاجتماعية التقليدية.

وتتضح سمات الحركات الاجتماعية الجديدة، وتبرز، عند مقارنتها بسمات الحركات الاجتماعية القديمة. ويتمثل العامل الرئيس المميز للحركات الاجتماعية الجديدة في وجهة نظرها الأيديولوجية. ومن هذا التمايز والاختلاف تنحدر جميع الاختلافات الأخرى. ويقرر نموذج الحركة الاجتماعية الجديدة أن الحركات الاجتماعية المعاصرة لا تتمركز حول الطبقة الاجتماعية، ولا تنشغل بإعادة التوزيع الاقتصادي (Bruce & Yearley, 2006: 213). وبدلاً من ذلك تؤكد الحركات الاجتماعية الجديدة نوعية الحياة، ومسائل أسلوب الحياة. وتشكك في أبنية الديمقراطيات التمثيلية التي تقيد إمكانية وصول المواطن إلى الحكومة ومشاركته فيها (Pichardo, 1997: 414).

وفيما يتعلق بأهدافها، تميل الحركات الاجتماعية الجديدة إلى تغيير القيم الاجتماعية والثقافية، خاصة تلك المتعلقة بالاستقلال الفردي، وذلك بدرجة أكبر من ميلها إلى تغيير الأبنية الاجتماعية ككل. وتتأسس الحركات السياسية التقليدية في الطبقة الاجتماعية؛ أما الحركات الاجتماعية الجديدة فتتأسس في جماعات أخرى، مثل النساء أو الشباب (Abercrombie, et al., 2006: 358). ومن القضايا التي تهتم بها هذه النظرية: الأساس الاجتماعي الفضفاض للحركات الاجتماعية الجديدة؛ إذ ترتكز الحركات الاجتماعية القديمة أو التقليدية، مثل حركات الفلاحين والعمال، على أساس الطبقة العاملة، وقد اتسمت بالتجانس النسبي والارتباط بأقاليم ومواقع اجتماعية معينة (Donk, et al., 2004: 3). على النقيض، تُعرّف الحركات الاجتماعية الجديدة وتتحدد غالباً باعتبارها طبقة وسطى أو على وجه التحديد طبقة وسطى جديدة تفيد من المهن المرتكزة على المعلومات كأساس لها. وبصورة بديلة قد تكون الحركات الاجتماعية الجديدة متجذرة في هويات اجتماعية أخرى تتجاوز الفئات الطبقية مثل السلالة، والعرقية، والجيل، والنوع، أو الحياة الجنسية sexuality (Buechler, 2007: 3209). وتتسم الحركات الاجتماعية الجديدة بجمهور غير متجانس، ومترابط بصورة فضفاضة، ويسهل أن يتمدد خارج الحدود القومية.

وتجدر الإشارة إلى "أن الحركة الاجتماعية القديمة كانت تضم أشخاصاً من طبقات اجتماعية متعددة، وتجاهد من أجل تطبيق رؤية أيديولوجية شاملة تدعو إلى تغيير واسع في جميع نواحي حياة المجتمع، اقتصاده ونظامه السياسي وثقافته بل أنماط سلوك أفراده، وهي لاتتوانى عن استخدام جميع سبل العمل الجماعي للوصول إلى غاياتها، تنخرط في العمل الاجتماعي، وتتحرك في إطار التنظيمات

الجماهيرية من نقابات واتحادات طلابية، وتلجأ إلى دور العبادة لطرح رؤيتها للعالم وكسب الأنصار، وتخوض الانتخابات وتقيم الأحزاب السياسية استعداداً لتولي سلطة الحكم. أما الحركات الاجتماعية الجديدة فتقتصر عضويتها – في الغالب – على أشخاص ينتمون إلى طبقة اجتماعية واحدة هي – في العادة – الطبقة الوسطى الجديدة. ولا تسترشد هذه الحركات برؤية أيديولوجية محددة، وإن كانت أفكارها أقرب إلى الفكر الليبرالي والاشتراكي. والأهداف التي تناضل لتحقيقها محدودة، حتى وإن تطلع أفرادها إلى تغيير شامل في المجتمع، فهي تدور حول احترام حقوق الإنسان، أو النهوض بأوضاع المرأة، أو حماية المستهلكين، أو وقف التسلح. وفي حالة مصر فإن نماذج هذه الحركات هي – تحديداً – تلك التي ناصرت الثورة منذ يومها الأول، بل كانت هي التي خططت لها، واتخذت المبادرة بتنظيم المظاهرات الأولى لها. وفي مقدمة هذه الحركات الاجتماعية الجديدة كل من حركة 6 أبريل، وكلنا خالد سعيد، وانضمت لهما كفاية التي كانت الحركة الأم. وتميل الحركات الاجتماعية الجديدة إلى العمل المباشر بتنظيم الاحتجاجات الجماعية مثل الإضرابات" (كامل السيد، 2012).

وتتبرأ الحركات الاجتماعية الجديدة من جميع أشكال التنظيم الرسمي والبيروقراطي، وتفضل الأشكال الفضفاضة والمرنة (Abercrombie, et al., 2006: 358). وتميل هذه الحركات إلى أن يكون لها مؤيدون بدرجة أكبر من الأعضاء، وتتسم بشبكات منظمة واسعة النطاق (Flynn, 2011: 90). ولا تلوذ الحركات الاجتماعية الجديدة بالوسائل السياسية التقليدية الخاصة بالتأثير في الدولة، ولكن تعوّل على التعبئة الجماهيرية بقصد تغيير القيم والاتجاهات (Abercrombie, et al., 2006: 358). وتعكس تكتيكات الحركات الاجتماعية الجديدة التوجه الأيديولوجي؛ إذ يتسق الاعتقاد في الطابع غير التمثيلي للديمقراطيات الحديثة مع التوجه التكتيكي المعادي للمؤسسية anti-institutional. وتفضل الحركات الاجتماعية الجديدة البقاء خارج القنوات السياسية العادية، وتوظف تكتيكات المقاطعة والتعطيل disruptive tactics، وتعبئ الرأي العام لكسب قوة أو نفوذ سياسي. وتميل كذلك إلى استعمال الأشكال الدرامية والمخطط لها سلفاً للمظاهرات والمسيرات المفعمة بالتمثيلات الرمزية (Pichardo, 1997: 415).

تميل الحركات الاجتماعية التقليدية، كالحركات العمالية، إلى التركيز على الاهتمامات والتفاوتات الاقتصادية، وتنشغل بالصراع الطبقي وتنخرط فيه. أما

الحركات الاجتماعية الجديدة فتنشغل بالصراع السياسي والاجتماعي، وتنخرط فيه (Flynn, 2011: 90). يعكس ذلك حقيقة أن الفعل الجمعي المرتكز على الطبقة لم يعد القوة المحركة للتغيير؛ ذلك أن بؤرة تركيز الحركات الجديدة تتسلط على "السياسات الحياتية" life politics (Taylor & Whittier, 2004: 181). وتتحدد السمة المشتركة للحركات الاجتماعية الجديدة – في رأي جينيت Jennett وستيوارت Stewart – في توسيع نطاق سيطرة المواطن العادي على العالم الحياتي (McIntyre-Mills, 2005: 82). لذلك فمن القضايا المحورية التي تكترث بها نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة تسييس الحياة اليومية politicization of everyday life. ونتيجة لذلك لا يضع ناشطو الحركة الاجتماعية الجديدة تمييزات صارمة بين سياستهم وحيواتهم الخاصة. وهم يعتبرون السياسة مطمورة في الحياة الخاصة، وتتدفق منها (Buechler, 2007: 3209).

وتؤكد نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، على حد تعبير كانيل Canel، الطابع الثقافي للحركات الجديدة، وتعتبرها صراعات أو نضالات للسيطرة على تشكيل هويات جمعية جديدة، وإنتاج المعنى (Wienclaw & Howson, 2011: 43)؛ بما يعني أن الحركات الاجتماعية الجديدة تنصب بدرجة أكبر على المعاني الثقافية مقارنة بالحركات الاجتماعية القديمة (Jasper, 2007b: 70). والهوية من منظور نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة تمثل بؤرة العمل السياسي. ويعد التركيب الاجتماعي لهوية جمعية مستلزماً لتحقيق أهداف الحركة الاجتماعية.

نخلص من كل ما سبق إلى أن نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، التي تركز على الارتباطات بين الحركات الاجتماعية والمعلومات والهوية والبناء، تعيد تعريف وتحديد الكيفية التي من خلالها تتم دراسة الحركات الاجتماعية المعاصرة، وتصورها.

ثانياً – المفهومات الرئيسة:

1 – الحركات الاجتماعية الجديدة:

يميز منظرو السلوك الجمعي بين الحركات الاجتماعية والفاعلين السياسيين التقليديين، مثل جماعات المصلحة. فعلى النقيض من جماعات المصلحة التي تدعم الاهتمامات المادية لجماعات معينة داخل الترتيب السياسي القائم، تسعى الحركات الاجتماعية إلى تحقيق أهداف "تحويلية" transformational، من شأنها أن تغير علاقات القوة في المجتمع (Smith, 2008: 109). وعموماً، يُعتقد أن الحركات

الاجتماعية تدوم وتستمر فترة أطول، ومنظمة بدرجة أكبر، إذا ما قورنت بالحشد أو التجمهر، ولكنها لا تتأسس كحزب سياسي أو جماعة ضغط (Williams, 2007: 954).

وفيما يلي مقاربة لأبرز تعاريف الحركات الاجتماعية الواردة في الأدبيات، وما يرتبط بها من تصورات ورؤى، وذلك في محاولة لصوغ تعريف إجرائي يتوسل به البحث. يعرف بلومر Blumer الحركات الاجتماعية بأنها: "**مشروعات جمعية تسعى وتهدف إلى تأسيس نظام جديد للحياة أو نظام حياتي جديد. وتنشأ الحركات الاجتماعية من حالة القلق، وتستمد قوتها الدافعة من الاستياء من الشكل الراهن للحياة من ناحية، ومن رغبات وآمال في بناء نسق جديد للحياة من ناحية أخرى**". ويصوغ أيرمان Eyerman وجاميسون Jamison تعريفاً للحركات الاجتماعية مؤداه أنها: "**فضاءات عامة مؤقتة** temporary public spaces، لحظات إبداع جمعي تزود المجتمعات بالأفكار والهويات والمثاليات كذلك" (Crossley, 2002: 3 - 4). وعلى النقيض من تأكيد الطابع المؤقت في تعريف أيرمان Eyerman وجاميسون، يؤكد تعريف تارو Tarrow الاستمرارية النسبية للحركات الاجتماعية، وذلك عندما يعرف الحركات الاجتماعية بأنها: "**التحديات الجمعية الصادرة عن أفراد لهم أهداف مشتركة، ويتضامنون في التفاعل القوي والحاد مع النخب، والخصوم، والسلطات**" (Meyer & Kretschmer, 2006: 1631). ويقرر تارو أن "**السياسات التنازعية** contentious politics تظهر عندما ينضم أفراد، متحالفون في الغالب مع مواطنين مؤثرين، إلى قوى معينة في مواجهة نخب أو سلطات أو خصوم ... وتؤدي السياسات التنازعية، عندما تكون مدعومة بشبكات اجتماعية كثيفة ورموز ثقافية موجهة بالفعل، إلى تفاعل قوي مع الخصوم – التفاعل الذي يميز الحركات الاجتماعية عن الأحداث الاحتجاجية. وتكون النتيجة هي الحركة الاجتماعية" (Crossley, 2002: 4).

واضح أن العديد من الباحثين البارزين يستعملون مصطلح حركة اجتماعية ليعني شبكات التفاعل (Della Porta & Diani, 2006: 25). يتأكد ذلك، ويبين في تعريف فرانك ويبستر Webster للحركات الاجتماعية بأنها: "**شبكات قوامها علاقات غير رسمية بين كثرة من الأفراد والتنظيمات التي تشترك في هوية جمعية متميزة، وتُعبأ الموارد للقضايا موضع الصراع والنزاع**" (Webster, 2001: 177). وتعريف جاكي سميث Smith للحركات الاجتماعية بأنها: "**شبكات التفاعلات غير الرسمية**

بين كثرة من الأفراد، الجماعات، أو الاتحادات associations، التي تشترك وتنخرط في صراع سياسي أو ثقافي" (Smith, 2008: 108 - 109).

ويشير عالما الاجتماع الأمريكيان ستيوارت Stewart وايتزن Eitzen إلى أن الحركة الاجتماعية تمثل: "**محاولة جمعية لتدعيم أو مقاومة أو إبطال التغير. وتنشأ الحركات الاجتماعية نتيجة الغضب والاستياء من وضع معين بما يدفع إلى التعبئة لتغييره**" (Dentice & Williams, 2008:1). وعلى الشاكلة نفسها يعرف جونستون Johnston الحركات الاجتماعية بأنها: "**جهود تهدف إلى إحداث التغير الاجتماعي أو الحيلولة دونه**" (Johnston, 2008: 881). ويعرف جيمس جاسبر Jasper الحركات الاجتماعية بأنها: "**الجهود الحثيثة المثابرة المقصودة الهادفة إلى تشجيع التغيرات الاجتماعية أو تعويقها، وذلك بصفة أساسية خارج القنوات المؤسسية العادية التي تدعمها السلطات**" (Jasper, 2007a: 4451). وتمثل الحركات الاجتماعية، في رأي ويليامز Williams، "**المحاولات المقصودة الأكثر أو الأقل تنظيماً التي يكون هدفها التغيير. وقد تحاول الحركات الاجتماعية تغيير الأفراد، سلوكيات الجماعة، سياسات حكومية، أو التصورات الثقافية لمجتمع معين**" (Williams, 2007: 954). ويعرف بول ألميدا Almeida الحركة الاجتماعية بأنها: "**جماعة تمتلك وعياً مشتركاً في تفاعلها القوي مع النخب الاقتصادية والسياسية سعياً لإحداث التغير الاجتماعي، أو إعاقته. وتتألف الحركات الاجتماعية عادة من جماعات من خارج القوة المؤسسية تستعمل إستراتيجيات غير تقليدية كالمسيرات، وأخرى تقليدية مثل تقديم المطالب، وذلك بقصد تحقيق أهدافها**" (Almeida, 2008: 603). ويشير مصطلح الحركات الاجتماعية، في رأي فلين Flynn، إلى "**تنظيم طوعي من الأفراد الذين يسلكون بصورة مشتركة تعاونية لإحداث التغيرات أو إعاقتها**" (Flynn, 2011: 88 - 89). ويؤكد تصور كريستيانسن Christiansen أيضاً التصور غير الرسمي للحركة الاجتماعية: "**الحركات الاجتماعية كيانات اجتماعية منظمة برغم أنها غير رسمية، تنخرط وتشترك في صراع مؤسسي أو نظمي مفرط موجه إلى تحقيق هدف معين. ويمكن أن تكون هذه الأهداف موجهة إلى سياسة خاصة محددة وضيقة أو موجهة على نطاق واسع لإحداث تغير ثقافي**" (Christiansen, 2011a: 15).

وتتطرق بعض أدبيات الحركة الاجتماعية إلى مصطلح "**الحركة الاجتماعية الجديدة**"، الذي يشترك المعنى وراءه في كثير مع المعنى وراء مصطلح الحركة الاجتماعية. على سبيل المثال يشير روبرتسون Robertson إلى أن الحركات

الاجتماعية الجديدة هي "**جماعات شعبية منظمة بصورة فضفاضة، ولها طبيعة احتجاجية عادة**" (Robertson, 2004: 348). ويعرف أبيركرومبي Abercrombie وآخرون الحركات الاجتماعية الجديدة بأنها "**جماعات منظمة من الأفراد الذين يتحدون ويتعاونون معاً لتحقيق هدف مشترك بقصد تغيير جانب معين من وضعهم**" (Abercrombie, et al., 2006: 284). وتلفت بعض هذه الأدبيات الانتباه إلى تمايزات وفوارق دقيقة بين المصطلحين، من أهمها دور الحركات الاجتماعية الجديدة في تغيير أسلوب الحياة، والطابع الثقافي المميز لتلك الحركات، إضافة إلى كون الحركة الاجتماعية الجديدة موجهة بالهوية identity oriented أو أن للهوية فيها أهمية كبيرة، وتهتم بالتعبير عن الهويات الجمعية عن طريق الفعل الجمعي (Kriesi, 2004: 77). وتشارك الحركات الاجتماعية الجديدة في أشكال جديدة لممارسة السياسة، كما أسهمت في تكوين أشكال جديدة للمجتمعية sociability (Alvarez, et al.,1998: 6).

وعلى الرغم من أنه ليس ثمة تعريف واحد لما يؤلف حركة اجتماعية، وعلى الرغم من الاختلافات الماثلة في أنماط الحركات الاجتماعية وأشكالها، فإن هناك بعض الاتفاقات العامة بين الباحثين على شكل الحركة الاجتماعية. على سبيل المثال يقرر تشارلز تيلي Tilly أن الحركات الاجتماعية تكشف عن عدة خصائص وتماثلات رئيسة:

– **الحملة** The campaign، تنفذ كل الحركات مجموعة من الأفعال، والأنشطة القوية بقصد تحقيق أهداف معينة.

– **ذخائر الحركة الاجتماعية** repertoires، وتعني مجموعة الفعاليات، والأفعال، والأنشطة التي تستخدمها الحركات الاجتماعية، على سبيل المثال الاحتجاجات، والاجتماعات، والمسيرات الحاشدة، وهلم جرا.

– عروض الجدارة worthiness، والوحدة unity، والأعداد أو الزخم العددي numbers، والالتزام commitment (WUNC). وتُؤدى هذه العروض بوساطة الحركات الاجتماعية وتنظيمات الحركة الاجتماعية (SMOs) بقصد إضفاء الشرعية على ذاتها في عيون أنصار محتملين، وسلطات مستهدفة (Christiansen, 2011c: 5).

وفيما يلي أبرز سمات الحركات الاجتماعية الجديدة:

1 – الحركة الاجتماعية الجديدة تنظيم فضفاض، ينبذ صور التنظيم الرسمي البيروقراطي الصارمة، ويؤثر الأشكال المرنة.

2 – تميل الحركة الاجتماعية الجديدة إلى أن تكون تشاركية، وتتجنب تشكل نخب بيروقراطية داخلها.

3 – ينتمي غالبية أعضاء الحركة الاجتماعية الجديدة إلى الطبقة الوسطى الجديدة.

4 – تزدري الحركة الاجتماعية الجديدة الديمقراطية التمثيلية، وتؤثر الديمقراطية المباشرة والفعل المباشر direct action.

5 – تتوسل الحركات الاجتماعية الجديدة بتكتيكات المقاطعة والتعطيل disruptive tactics، وتعبئ الرأي العام لكسب قوة أو نفوذ سياسي. كما تتوسل بالتظاهرات والمسيرات الزاخرة بالتمثيلات الرمزية.

6 – يطغى على الحركة الاجتماعية الجديدة الطابع الثقافي؛ إذ تنصب وتتسلط على المعاني الثقافية.

7 – تمثل الهوية في الحركة الاجتماعية الجديدة بؤرة العمل السياسي، وتؤكد الحركة الاجتماعية الجديدة نوعية الحياة، ومسائل أسلوب الحياة.

ويمكن، في ضوء ما سبق، تحديد مفهوم الحركة الاجتماعية الجديدة إجرائياً في هذا البحث بأنها شبكات غير رسمية كثيفة؛ لها طبيعة احتجاجية؛ وترتكز على آراء، ومعتقدات، ورؤى للعالم، وذخائر repertoires للفعل، وتضامن مشترك يحقق التعبئة؛ وتهدف إلى إحداث تغيير سسيوسياسي وثقافي؛ وتنخرط في علاقات صراع ونزاع مع خصوم محددين بوضوح؛ وتشترك في هوية جمعية متميزة.

2 – الهوية الجمعية:

يستعمل منظرو الحركات الاجتماعية الجديدة مصطلح الهوية الجمعية، وهو مصطلح أكثر عمومية من مصطلح الوعي الطبقي، ويُطبق على مدى واسع من التحديات المعاصرة الموجهة إلى السياسات الحياتية، وكذا السياسة التحررية (Taylor & Whittier, 2004: 164).

إن الحركات الاجتماعية لا تمثل مجرد مجموعة من الأحداث الاحتجاجية على قضايا معينة، أو حتى حملات سياسية معينة. فعلى العكس تتشكل فعالية الحركة

الاجتماعية عندما تنشأ الهويات الجمعية التي تتوارى خلف أحداث ومبادرات معينة (Della Porta & Diani, 2006: 21). وقد ارتأى ميلكسي Melucci، وغيره من المنظرين الأوروبيين، أن الحركات الاجتماعية تنتج وتصوغ الهويات الجمعية؛ وتمثل نظريتهم تطويراً لبحث الاهتمامات المعرفية، وتحلل الحركات الاجتماعية باعتبارها فاعلين اجتماعيين منخرطين في ممارسة معرفية ابتكارية. وتفرز الحركات الاجتماعية رؤى للكون توجه ناشطي الحركة، وتنتج بذلك وعياً جمعياً جديداً (Steinberg, 1992: 551 - 552).

هناك بعض الاعتبارات الأولية التي يستهل بها المنظرون تحديدهم ومقاربتهم لمفهوم الهوية: (1) تحوي فكرة الهوية دعاوى جوهرية عن الانتماء؛ إذ تعد الهوية ثابتة. (2) تعتبر الهوية علاقية، كما يتأسس الاختلاف من خلال العلامة (التمييز) الرمزية في العلاقة بآخرين. (3) يتحقق للهوية البقاء والاستمرارية عن طريق الظروف الاجتماعية والمادية. (4) يشير "الاجتماعي" و"الرمزي" إلى عمليتين مختلفتين، وضروريتين لتمييز الهويات والحفاظ عليها (Woodward,1997:12). وتمثل الهوية مركباً من تصور شخصي واجتماعي، يتألف – جزئياً – من تصورنا لماهيتنا، وكيف نرغب في أن يدركنا ويتصورنا الآخرون، وكيف يدركوننا ويتصورونا في الواقع (Wood & Smith, 2005: 52). ويعني امتلاك الأفراد هويات اجتماعية، أنهم يعرفون أو يحددون أنفسهم باعتبارهم أعضاء في فئات معينة. وتحدد الثقافة معاني العضويات الجماعية المختلفة، والسلوكيات المتوقعة من هذه العضويات (Jan, 2006: 89 - 90).

ويتسع نطاق استعمال مفهوم الهوية الجمعية في أدبيات العلم الاجتماعي التي تتناول الحركات الاجتماعية (Hunt & Benford, 2004: 433). وقد نشأ هذا المفهوم في الثمانينيات، في أوربا، في إطار نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة. وفيما يلي مقاربة لأبرز تعاريف الهوية الجمعية، وما يرتبط بها من تصورات، في أدبيات الحركات الاجتماعية، وذلك في محاولة لصوغ تعريف إجرائي للهوية يتوسل به هذا البحث.

الهوية الجمعية، على مستوى أساسي، هي شعور مشترك "بالنحن" و"فعل جمعي". ويشير المصطلح إلى نزوع الحركات الاجتماعية إلى تشكيل صورة ذاتية يشكلها ويصوغها أعضاء الحركة، وتعمل هذه الصورة بدورها على تشكيل وعي

الأعضاء، والأفراد المشاركين (The Editors, 2011: 157). وتعرف فيرتا تايلورVerta Taylor الهوية الجمعية بأنها: "**التعريف المشترك لجماعة معينة، والذي ينشأ ويُستمد من اهتمامات الأعضاء، وخبراتهم المشتركة، وتضامنهم**" (Taylor & Whittier, 2004: 172). وتمثل إجابة الحركة عن سؤال "**من نحن**" الهوية الجمعية للحركة. ويعرف ألبرتو ميلكسي الهوية الجمعية بأنها: "**التعريف التفاعلي والمشترك الذي يصوغه وينتجه أفراد عديدون (أو جماعات على مستوى أكثر تعقيداً)؛ ويتعلق بتوجهات الفعل، ومجال الفرص والقيود الذي يحدث فيه الفعل. ونعني "بتفاعلي ومشترك" أن الهوية عملية نظراً لأنها تتشكل، ويتم تفاوضها، عن طريق التنشيط المتكرر للعلاقات والروابط التي تربط الأفراد (أو الجماعات)**" (Melucci, 2004: 44; Platt & Williams, 2002: 355).

وتتضمن الهوية الجمعية – بوصفها عملية – ثلاثة أبعاد أساسية على الأقل: **الأول**، صياغة أطر معرفية فيما يتعلق بغايات الفعل ووسائله ومجاله (Opp, 2009: 209)؛ بتعبير آخر، تشمل الهوية الجمعية التعريفات المعرفية التي تتعلق بغايات الفعل ووسائله ومجاله. هذه العناصر أو المحاور المختلفة للفعل الجمعي تُعرف وتتحدد في إطار لغة معينة يشترك فيها قسم أو مجتمع ككل، أو لغة خاصة بجماعة معينة؛ وتندمج وتندغم هذه العناصر في مجموعة معينة من الشعائر والممارسات ومظاهر الثقافة المادية cultural artifacts (Melucci, 2004: 44). **الثاني**، تنشيط العلاقات بين الفاعلين الذين يتفاعلون، ويتواصلون، ويؤثر بعضهم في بعض، ويتفاوضون، ويتخذون قرارات (Opp, 2009: 209). **الثالث**، تشكل الحركة نوعاً من الغلاف الانفعالي emotional investment الذي يمكن الأفراد من إدراك ذواتهم، والشعور بكونهم جزءاً من وحدة مشتركة (Melucci, 2004: 44 - 45).

ويقرر ميلكسي أن الهوية الجمعية عملية تعلم تقود إلى تشكل فاعل إمبيريقي موحد والحفاظ على بقائه، ويمكن أن نطلق على هذا الفاعل حركة اجتماعية (Melucci, 2004: 49). ويعيد البعض تركيب وصياغة تعريف ميلكسي على النحو الآتي: "**توجد الهوية الجمعية، كما يتضح من تعريفها، إذا كانت هناك جماعة (أفراد لديهم هدف واحد مشترك على الأقل) تعتنق معتقدات مشتركة، وقناعات معيارية مشتركة، وتربطها علاقات اجتماعية (بمعنى أن هناك شبكة اجتماعية)، وأواصر عاطفية أو انفعالية**" (Opp, 2009: 210).

وتمثل الهوية، في رأي كاستلز وتورين، "**عملية من خلالها يركب ويصوغ الفاعلون الاجتماعيون المعنى على أساس السمات (الخصائص أو الرموز) الثقافية التي تُعطى الأولوية على مصادر محتملة للمعنى**" (Edelman, 2001: 298). وتعرف بوليتا Polletta وجاسبر Jasper الهوية الجمعية بأنها: "**ارتباطات الفرد المعرفية، والأخلاقية، والانفعالية، بمجتمع محلي أو جماعة أو فئة أو ممارسة أو مؤسسة (نظام). والهوية الجمعية قد تكون متخيلة ولا تتم الخبرة بها مباشرة، وتتمايز عن الهويات الشخصية، على الرغم من أنها قد تكون جزءاً من الهوية الشخصية. ويتم التعبير عن الهوية الجمعية في المواد أو المعطيات الثقافية – الأسماء، الحكايات، الرموز، الأساليب اللفظية، الشعائر، الزي، وهلم جرا – ومع ذلك ليست كل المواد الثقافية تعبر عن هويات جمعية. والهوية الجمعية، على خلاف الأيديولوجيا، تحمل معها مشاعر إيجابية لأفراد الجماعة الآخرين**". وتمثل الهوية الجمعية، في رأي البعض، "**اختزالاً للروابط الوجدانية أو العاطفية التي يمتلكها الشخص، وتربطه بأعضاء جماعة معينة، وتلزمه بمشاركتهم الاحتجاج. وترتبط الهوية الجمعية بالولاء والإيثار**" (Polletta & Jasper, 2001: 285, 289 - 290).

وتصف الهوية الجمعية مجتمعات محلية أو جماعات متخيلة وواقعية، وتتسم بأنها مرنة وعلاقية، تنبثق من التفاعلات مع عدد من الجماهير المختلفة (المتفرجين، الحلفاء، الخصوم، الميديا الجديدة، سلطات الدولة)، ومن ثم، ليست ثابتة. وتوفر الهوية الجمعية فئات أو مقولات يصنف الأفراد من خلالها العالم الاجتماعي ويفهمونه. وتتفاعل الهويات الجمعية بشكل متواصل مع الهويات الشخصية، لكنها لا تمثل ببساطة مجموع الهويات الفردية. فإذا كانت الهوية الجمعية هي ما يجعل الأفراد الذين يشغلون فئة معينة متشابهين، فإن الهوية الشخصية تمثل حزمة السمات التي تجعلنا متميزين ومتفردين (Polletta & Jasper, 2001: 290). وتتفق رؤية كوماروف Comaroff للهويات مع تصور بوليتا وجاسبر؛ ذلك أن كوماروف لا ينظر إلى الهويات باعتبارها أشياء، ولكن باعتبارها علاقات. كما تتشكل الهوية في رأيه عن طريق الممارسة اليومية في المواجهة والتفاعل بين الجماعات (Escobar, 2007: 252).

إذن، تمثل الهوية الجمعية ارتباطات الفرد وتوحداته أو تماهياته مع جماعة معينة بمصطلحات معرفية وانفعالية وأخلاقية. والهوية الجمعية تتجذر في سياقات سسيوثقافية معينة وتتشكل بها، ويتم إنتاجها ويعاد إنتاجها في التفاعلات

المستمرة بين الحلفاء وقوى المعارضة والجماهير الذين يمكن أن يكونوا حقيقيين أو متخيلين (Hunt & Benford, 2004: 450). واضح أن مفهوم الهوية يشير إلى التماهي identification مع جماعة معينة، وكثيراً ما يُستعمل مفهوما "الهوية" و"التماهي" (التوحد) بالتبادل، وذلك من منطلق أن الهوية الجمعية صفة مميزة للفاعلين الجمعيين أو للجماعات. ويرى كثيرون أن "**الهوية الجمعية هي ما يشترك فيه أعضاء جماعة من الأفراد**". وتتضمن الهوية الجمعية، باعتبارها خاصية مميزة للفاعلين الجمعيين، رؤى مشتركة للبيئة الاجتماعية، والأهداف، وحدود الفعل الجمعي ونجاحه (Opp, 2009: 216).

ثمة خلاف بين فريقين من الباحثين، يعتبر أحدهما الهوية تركيبية، مرنة سائلة، وديناميةً؛ في حين يعرفها ويحددها الفريق الآخر بطريقة أكثر تشييئاً reifying واستاتيكية. وينتصر الفريق الأول في الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية، وبحوث الحركات الاجتماعية المعاصرة (Whooley, 2007: 586 - 587).

تُمَثَّل الحركات الاجتماعية في المجتمع الحديث، غالباً باعتبارها "شخصيات" characters لها قدرة إستراتيجية على الفعل وتؤدي دوراً ثقافياً بعينه. ولهذه الأسباب يُنظر إلى الحركات باعتبارها تتميز بهوية متجانسة ومتكاملة. ويميل باحثو الهوية الجمعية إلى عزو هوية واحدة إلى حركة اجتماعية واحدة. والحقيقة أن ربط الحركة الاجتماعية بهوية جمعية متميزة لا ينضوي على أية افتراضات عن تجانس الفاعلين الذين يشتركون في هذه الهوية؛ ذلك أن هوية الحركات الاجتماعية دينامية (Della Porta & Diani, 2006: 98, 24). ويواجه العديد من الحركات مجموعة متصارعة من الولاءات والهويات القائمة بين أعضائها، ويتعين على الحركة الاجتماعية محاولة بناء التضامن عبر هذه الهويات المتعددة (Whooley, 2007: 587).

وفيما يلي أبرز سمات الهوية الجمعية:

1 – تمثل الهوية الجمعية توحد الفرد وتماهيه مع جماعة الحركة الثقافية، وانتماءً لها؛ بتعبير آخر، ثمة ارتباط الفرد معرفياً وأخلاقياً وانفعالياً بجماعة الحركة الاجتماعية. ويعني امتلاك الفرد هوية أنه يحدد ذاته باعتباره عضواًفي الحركة الاجتماعية.

2 – تعد الهوية الجمعية – باعتبارها ميكانزماً ثقافياً للفعل الجمعي – خاصية

ناشئة متشكلة اجتماعياً لا يمكن اختزالها ببساطة إلى الاتجاهات الفردية الذاتية. إن الهويات الجمعية متجذرة في مجتمعات أو جماعات الحركة الاجتماعية، لكنها غير منفصلة عن سياق تشكلها وتكونها حيث يدركها من لا ينتمون إلى الجماعة، وتكون متاحة للتبني.

3 – تتشكل الهوية عن طريق منح المعنى للخبرة، وتوسم الهوية ماضي الأفراد مع العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتمثل تقاطع حياتهم اليومية مع العلاقات الاقتصادية والسياسية للتبعية والهيمنة.

4 – تمثل عملية الهوية الجمعية القدرة على إنتاج تعريفات جديدة عن طريق تحقيق التكامل بين الماضي وعناصر الحاضر الناشئة، وذلك في وحدة الفاعل الجمعي واستمراريته.

5 – تسهم الهوية الجمعية في التعبئة والحشد الذي تستهدفه الحركة الاجتماعية، وتدعم الانتماء والالتزام بأهداف الحركة وغاياتها، وتعزز التضامن الجمعي أو تضامن جماعة الحركة الاجتماعية.

6 – تتجسد الهوية الجمعية وتنعكس في مظاهر ثقافة الحركة المادية واللامادية كالزي، والبوسترات، والرايات، والهتافات، والأسماء، والحكايات، والرموز، والشعائر، وغيرها.

7 – تتجذر الهوية الجمعية في سياقات سسيوثقافية معينة وتتشكل بها، ويعاد إنتاجها في تفاعلات الحركة الاجتماعية مع الخصوم والحلفاء والجمهور. وهي تركيبية ودينامية تتشكل عن طريق الصراع مع فاعلين سياسيين مختلفين.

ويمكن، في ضوء ما سبق، تحديد مفهوم الهوية الجمعية إجرائياً في هذا البحث بأنه يشير إلى "الصورة الجماعية الخاصة بأعضاء الحركة، والتعريف التفاعلي والمشترك المستمد من اهتماماتهم، وخبراتهم المشتركة، وتضامنهم". وتمثل الهوية الجمعية ارتباطات الفرد المعرفية، والأخلاقية، والعاطفية أو الانفعالية بالحركة؛ وتتضمن رؤى مشتركة للبيئة الاجتماعية، والأهداف، وحدود الفعل الجمعي ونجاحه.

ثالثاً – الحركة الاجتماعية موضوع البحث، والإجراءات المنهجية:

على الرغم من اختلاف حركة 6 أبريل من ناحية الإستراتيجية عن حركة كفاية فإنها متجذرة فيها، وانبثقت من رحمها. وكان العديد من قادة الحركة أعضاء في

حركة كفاية أو جزءاً منها، وتلقوا تدريبهم في أروقتها. وتشكلت نواة الحركة عام 2007 كاستجابة لانبعاث الحركة العمالية المصرية.

وقد صار أحمد ماهر، مؤسس الحركة، ناشطاً عمالياً في عام 2007. وكان هدفه توسيع الاحتجاج العمالي وتحويله إلى حركة شعبية، تنشر الاحتجاجات وتحولها إلى حركة عامة تطالب بالديمقراطية. وعندما قُمعت الاحتجاجات العمالية وسُحقت، تحول ماهر إلى الإنترنت وسيلة بديلة لتعبئة المعارضة (Lim, 2012: 239). وأسس ماهر ورفاقه، في مارس عام 2008، جماعة (جروب) حركة شباب السادس من أبريل على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، وذلك بقصد مساندة العمال في المحلة الكبرى، المدينة الصناعية التي كانت تخطط لإضراب في السادس من أبريل عام 2008 للمطالبة بحد أدنى للأجور، والاحتجاج على ارتفاع أسعار السلع الأساسية. وباستخدام الإنترنت لأول مرة في حشد الجماهير المصرية، أطلقت الحركة عبر موقع فيس بوك، والبريد الإلكتروني، والرسائل النصية دعوة لاعتبار يوم السادس من أبريل إضراباً عاماً تحت شعار "**خليك بالبيت**". وبالفعل وجدت الدعوة صداها حيث تمكنت صفحتها على الإنترنت من حشد (76000) متضامن.

وقد شهد يوم السادس من أبريل عام 2008 ميلاد الحركة. وتحولت حركة 6 أبريل فيما بعد إلى أكثر الحركات المناهضة لنظام الرئيس السابق حسني مبارك دينامية. وعقدت، يوم الثامن والعشرين من يونيو عام 2008، مؤتمرها التأسيسي في نقابة الصحفيين بالقاهرة إيذاناً بميلاد حركة شبابية جديدة[2]، تمثل الشباب المصري ذوي التوجهات السياسية المختلفة (Lim, 2012: 239)، واعتبرت حركة مستقلة عن أي حزب أو تيار، تهدف إلى تغيير النظام القائم، والإصلاح عن طريق تغيير هذا النظام، وتحفيز التحول الديمقراطي.

واستمرت فعاليات الحركة المناهضة لنظام الرئيس السابق حسني مبارك. ودعت ليوم الانتفاضة المصرية عام 2010، تحت شعار "لا للطوارئ"[3]. وخلال هذا العام تحالفت الحركة مع الحركات والتيارات التي دعّمت الدكتور محمد البرادعي وعاونته بعد عودته إلى مصر مطالباً بالتغيير. وصارت الحركة ركناً قوياً من أركان الجمعية الوطنية للتغيير التي أسست في فبراير من عام 2010. وقد نظمت الحركة

(2) https://www.facebook.com/april6movement

(3) http://6april.org/modules/news/index.php?storytopic=2

خلال عام 2010 الكثير من الفعاليات والأنشطة الاحتجاجية خاصة بعد مقتل خالد سعيد[4] في يوم السادس من يونيو عام 2010.

وكانت الثورة التونسية التي اندلعت في السابع عشر من ديسمبر عام 2010 بمثابة فرصة سياسية استغلتها الحركات الاحتجاجية، خاصة حركة شباب السادس من أبريل. فقد صدرت الدعوة الأولى للمشاركة في مظاهرات الخامس والعشرين من يناير عام 2011 عن حركة 6 أبريل، وذلك عبر وسائط الميديا المتنوعة، وتعاونت الحركة في ذلك مع صفحة "**كلنا خالد سعيد**" على فيس بوك. وصدرت هذه الدعوة في بيان للحركة بتاريخ الخامس عشر من يناير عام 2011 تدعو فيه الشباب المصري إلى الاحتفال بيوم الشرطة للتعبير عن رفض الممارسات الخاطئة التي تصدر عن وزارة الداخلية. وقد عرّفت الحركة الخامس والعشرين من يناير بأنه يوم "الانتفاضة المصرية" الذي ينتفض فيه المصريون ضد الظلم والفساد والاستبداد الذي ساد مصر طوال ثلاثين عاماً تحت حكم الرئيس السابق حسني مبارك. وهكذا كانت الثورة التونسية، وثورة يناير فرصتين سياسيتين أفادت منهما حركة 6 أبريل في تحقق شعبية كاسحة، وتطوير أجندتها.

وبعد تنحي حسني مبارك، وقع الصدام مع السلطة الجديدة في مصر آنذاك؛ ونقصد المجلس العسكري، مبكراً، وذلك نتيجة لما اعتبرته الحركة تجاهلاً لمطالبها الثورية. وتفاقم الصراع والصدام بين المجلس العسكري والحركة بعد معارضة الحركة للإعلان الدستوري (السبت 19 مارس 2011) الذي تصفه بالكارثي؛ إذ ارتأت الحركة أن استفتاء 19 مارس كان تجسيداً لتحالف المصالح بين المجلس العسكري والإخوان. وقد بلغ صدام الحركة مع المجلس العسكري مداه بعد إصدار المجلس العسكري البيان رقم (69) الذي اتهم فيه الحركة بمحاولة الوقيعة بين الشعب والجيش، وزعزعة استقرار البلاد. والحقيقة أن بيان المجلس العسكري كان بمثابة فرصة سياسية جديدة استثمرتها الحركة في تطوير أجندتها، وتبديد شكوك أثارتها أدوات النظام القديم، التي ما زالت تعمل كالإعلام، وتتعلق بالعمالة، والخيانة، وتلقي

(4) خالد سعيد هو شاب إسكندري اعتقله مخبران من قسم شرطة سيدي جابر في يوم السادس من يونيو سنة 2010، وتعرض لضرب مبرح وتعذيب شديد حتى فارق الحياة. وعقب وفاته تأسست صفحة باسمه في موقع فيسبوك. وخلال ساعة واحدة من تأسيسها كان عدد المشتركين فيها أربعة آلاف عضو، وبلغوا في أسبوعين أكثر من مائتي ألف عضو.

أموال من الخارج. وقد حقق هذه البيان مزيداً من الجاذبية للشباب الغاضب الناقم على السلطة بمختلف صورها.

ومن النقاط الحاسمة والفارقة في دورة حياة الحركة تحالفها مع جماعة الإخوان المسلمين في جولة الإعادة لانتخابات الرئاسة عام 2012، وانضمامها لما عرف "**بجبهة فيرمونت**" (نسبة إلى فندق فيرمونت الذي شهد انعقاد مؤتمر لتأييد المرشح الرئاسي – آنذاك – الدكتور محمد مرسي)، وهو التحالف الذي مثّل – في رأي كثير من الباحثين والمحللين – بداية انحسار الحركة. ووقع الصدام مع نظام الإخوان المسلمين بعد إصدار الرئيس السابق محمد مرسي إعلاناً دستورياً كارثياً يوم الخميس 22 نوفمبر عام 2012، رفضته الحركة. وكثّفت الحركة من فعالياتها الاحتجاجية المناهضة لحكم الإخوان المسلمين وصولاً إلى ثورة الثلاثين من يونيو عام 2013 التي أطاحت بنظام الرئيس مرسي. لكن سرعان ما وصفت الحركة ما حدث بـ "**الانقلاب**"، وتراجعت عن تأييد "خريطة الطريق" التي وضعتها القوات المسلحة والقوى السياسية والثورية، ورفضت كل ما تبع ثورة يونيو من إجراءات وتدابير. وبذلك دخلت الحركة مرحلة جديدة من الصراع مع السلطة في مصر.

وتعاني الحركة الاجتماعية انحساراً نتيجة التحالف بين السلطة والخصوم (الإخوان)، ونتيجة التشويه الإعلامي، أو "القمع الإعلامي"، إذا جاز التعبير. وتجدر الإشارة إلى أن حكماً قضائياً قد صدر في أبريل من عام 2014 بحظر أنشطة حركة 6 أبريل، كما صدر حكم قضائي في الثلاثين من مارس عام 2015 باستمرار حظر الحركة، والتحفظ على أموالها ومقارها. وهو حكم يفاقم أزمة الحركة، ويدفعها إما إلى مزيد من الانزواء والانحسار، وإما إلى إعادة التكتل واجتذاب أنصار جدد.

وتنقسم الحركة تنظيمياً إلى مكتب سياسي، ومكتب إداري، ومجموعات (مسؤولي المجموعات). ويحوي البناء التنظيمي للحركة تسع لجان: اللجنة الإعلامية، والعمل الجماهيري، ولجنة تنمية المجتمع (التنمية البشرية)، ولجنة التثقيف، ولجنة الموارد البشرية، ولجنة الاتصال (التنظيم والاتصال)، واللجنة الطلابية، واللجنة المالية. وتحوي كل مجموعة من مجموعات الحركة اللجان نفسها، ومكتباً تنفيذياً. وتتوزع هذه المجموعات جغرافياً على النحو الآتي: تتوزع المجموعات على مناطق مختلفة في المحافظة الواحدة (مجموعات المحافظة). ولكل مجموعة فرعية داخل المحافظة منسق. وثمة منسق عام للمحافظة ككل، ومنسق

عام للحركة يتولى التنسيق بين أمانة الحركة في القاهرة وأماناتها في المحافظات. وتخضع مجموعات المحافظات لتنظيم الحركة المركزي بالقاهرة.

والحقيقة أنه لا توجد بيانات دقيقة عن عدد أعضاء الحركة المنتمين لها تنظيمياً، لكن يقدر قادة الحركة عدد أعضائها في كل محافظة بـ 1000 عضو تقريباً. وتعتمد الحركة على تبرعات أعضاء الحركة واشتراكاتهم كمصدر أساسي للتمويل (الحد الأدنى 20 جنيهاً، و 10 جنيهات للطلاب)، وهي اشتراكات شهرية تتولى كل مجموعة على حدة تحصيلها. ويؤكد قادة الحركة، دوماً، محدودية مصروفات الحركة، ورفض التمويل المالي الخارجي.

الإجراءات المنهجية:

يتوسل هذا البحث بالمنهجية الأنثروبولوجية الكيفية التي ترتكز على الدراسة الحقلية، أو إثنوجرافيا، أو الملاحظة بالمشاركة والمعايشة. وغني عن البيان أن البحث الحقلي يعتمد على جمع البيانات عن طريق ملاحظة الكيفية التي من خلالها يعيش الأفراد حياتهم الواقعية. وتشمل إثنوجرافيا الدراسة المركزة والمكثفة للبشر في سياقاتهم الثقافية (Awah, 2014: 2).

(1) أدوات جمع البيانات:

أ – الملاحظة بالمشاركة:

تتضمن الملاحظة بالمشاركة الانغماس والاندماج في الثقافة قيد البحث. وتستند الملاحظة بالمشاركة إلى المشاهدة والإنصات للبشر في الميدان، ولكثرة من الأصوات (Coleman & Collins, 2006: 218). وتحقق الملاحظة بالمشاركة والمعايشة ملاحظة أنماط السلوك مباشرة، واستدماج أو تمثل معتقدات ومخاوف وآمال المبحوثين وتوقعاتهم (Fetterman, 2008: 290).

والباحث ملاحظ مشارك، وليس مشاركاً ملاحظاً؛ بمعنى أنه لا ينتمي للحركة موضوع البحث عضواً بها، لكنه توسل بأداة الملاحظة بالمشاركة بما يحقق الاندماج الواعي في سياقات الحركة وأنشطتها. فقد حرص على المشاركة والاندماج في سياقات الفعل المختلفة الخاصة بالحركة، والعديد من أنشطتها الاحتجاجية كالتظاهرات المليونية بميدان التحرير، والمسيرات، والاعتصامات. كما حرص على الحضور في سياقات الصراع والاشتباك مع الخصوم. وقد تسلط انتباه الباحث على رصد التفاعلات والعلاقات داخل الحركة (المجموعات المختلفة، أعضاء الحركة

وقادتها)، وبين الحركة وكيانات خارجها (حركات أخرى، أحزاب، الميديا، الجمهور أو المتفرجين).

وقد وفر منطلق فعاليات الحركة الاحتجاجية، وموقع اعتصاماتها شبه الدائم – منطقة مجاورة لتمثال عمر مكرم بميدان التحرير – سياقاً مكانياً ملائماً لملاحظة التفاعلات داخل مجموعات الحركة المختلفة، وبين أعضاء هذه المجموعات. وقد حرص الباحث على الوجود داخل بعض الخيام المتناثرة في الموقع، وتجاذب أطراف الحديث والنقاش مع أعضاء الحركة، والجمهور الذي يدفعه الفضول إلى تفقد الموقع والتحاور مع أعضاء الحركة وقادتها.

وكانت المسيرات التي تنطلق، في الغالب الأعم، من موقع اعتصامات الحركة أحد أهم السياقات التي حققت ملاحظة تجليات الهوية الجمعية في فعاليات الحركة، المتمثلة في التضامن، والوحدة، والخبرات المشتركة، والأواصر الانفعالية والعاطفية، والتوحد مع أهداف الحركة. وقبيل انطلاق المسيرة دأب الباحث على المشاركة في النقاشات الدائرة حول الهدف من المسيرة والاحتجاج خلال في المرحلة الراهنة، التي كان قادة المسيرة يهدفون من ورائها إلى شحذ الهمم، ولفت انتباه جمهور المتفرجين واجتذابهم إلى المسيرة. وحرص الباحث في أثناء المسيرة على ملاحظة التنظيم ورصد الإيقاع الذي يحكم المسيرة (قادة المسيرة، من يتولون تنظيم خُطى المشاركين في المسيرة، من يتولون تدوين الهتافات سريعاً على الحوائط التي تمر بها المسيرة، مظاهر الثقافة المادية كالأعلام والرايات والبوسترات والطبول، وهلم جرا). وتسلّطت الملاحظات أيضاً على المناوشات التي تحدث بين المشاركين في المسيرة من ناحية، والخصوم وبعض الجمهور من ناحية أخرى.

وقد راوحت المدة التي استغرقتها الملاحظة بالمشاركة لفعالية أو نشاط معين ما بين 3 ساعات و 6 ساعات. و حققت هذه الأداة جمع كثرة هائلة من البيانات التفصيلية التي أسهمت في رصد العديد من سمات ثقافة الحركة ومعانيها، وعلاقات التعاون والمنافسة، واستجلاء معالم الهوية الجمعية، وميكانزمات وآليات تشكيلها.

ونظراً للكثرة الهائلة من الأحداث والمشاهدات والتفاعلات، فقد كان من المتعذر تسجيلها بدقة في حينها (خاصة في أثناء المسيرات)، لذلك آثر الباحث تسجيل بعض الكلمات أو الجمل الأساسية، أو رموز ومختصرات تذكر بالموضوع العام

وتثير ذاكرة الباحث في وقت لاحق لتسجيلها بدقة. وقد أسهم أسلوب التدوين على هذا النحو في تيسير الكتابة والتسجيل السريع للمشاهدات والملاحظات.

وقد تضمن دليل الملاحظة بالمشاركة النقاط والقضايا الآتية: (1) الهيكل التنظيمي (تنظيم الحركة الاجتماعية). (2) أدوار أعضاء الحركة داخل تنظيمها. (3) تاريخ الانضمام للحركة، ولماذا (الأسباب والمبررات والدوافع)؟ (4) القيادة، والارتباط بشبكة الحركة والتواصل. (5) عمليات التعبئة كيف تتم؟ (6) الحشد والحفاظ على تماسك أعضاء الحركة وتضامنهم. (7) التكنولوجيا الحديثة والتعبئة. (8) دور الشبكات الاجتماعية بوصفها أدوات للتجنيد والتعبئة. (9) الأقران، وجماعات الألفة. (10) المظاهر المادية لثقافة الحركة (الزي، الرايات، البانرز، البوسترات، الخ). (11) الأنشطة والممارسات الاحتجاجية. (12) التكتيكات الأكثر تأثيراً (مسيرات، اعتصامات، إضرابات، الخ). (13) الأنشطة غير الاحتجاجية. (14) الشخصيات البارزة والمؤثرة في تاريخ الحركة، والتي تحظى بتقدير أعضاء الحركة واحترامهم. (15) الرموز: شعورك حيال رمز الحركة (القبضة) وما يثيره من انفعالات. (16) الشعارات التي تنادي بها الحركة أو ترفعها. (17) الأماكن الرمزية. (18) المفردات الخاصة. (19) الهتافات. (20) الشعارات. (21) الفن (الموسيقى والأغنية، الجرافيتي، إلخ). (22) الحكايات (23) تفاعلات وعلاقات الحركة بالحلفاء، والخصوم (حركات، أحزاب، نظام حاكم، إلخ).

ب – المقابلات شبه الموجهة:

يعتمد هذا البحث على أداة المقابلات شبه الموجهة Semistructured التي تتميز بأنها مفتوحة النهاية، لكنها تتبع نصاً مكتوباً، أو دليلاً، أو قائمة بالنقاط والقضايا. وتتيح المقابلات مفتوحة النهاية التفاعل المرن بين الباحث والمبحوث ورؤية العالم من وجهة نظره. وتوصف المقابلات شبه الموجهة بأنها مقابلات متعمقة نظراً لأن الباحث يحتفظ ببعض السيطرة على الاتجاه والمحتوى الذي تتم مناقشته، في الوقت الذي يسمح فيه للمبحوثين بأخذ المقابلة إلى اتجاهات جديدة وإن كانت ذوات صلة (Cook, 2008: 422).

وقد أجريت مقابلات شبه موجهة مع عينة غرضية تتألف من 50 (30 ذكور، 20 إناث) حالة شملت أعضاء الحركة بجبهتيها: جبهة أحمد ماهر، والجبهة الديمقراطية. وتقع الحالات في الفئة العمرية من 20 إلى 40 سنة، وتنتمي إلى الطبقة الوسطى

الجديدة، التي ينتمي إليها غالبية أعضاء الحركة، وقد حصل أفراد العينة على تعليم عال ومتقدم أو يدرسون للحصول على مؤهل عال، ويشعرون بالأمان من الناحية الاقتصادية، ويمتلكون مهارات تقنية، خاصة فيما يتعلق بالميديا الاجتماعية وتقنيات الاحتجاج الإلكتروني.

وقد استغرقت المقابلة الواحدة من 45 – 60 دقيقة، وأجريت غالبية المقابلات شبه الموجهة في أثناء اعتصامات الحركة، خاصة اعتصام الحركة عام 2012 بميدان التحرير للمطالبة بإلغاء الدستور المكمل الذي أصدره المجلس العسكري، والمطالبة بعودة مجلس الشعب ومنح صلاحيات كاملة للرئيس.

وقد توخى الباحث قواعد ومبادئ إجراء المقابلات شبه الموجهة، وهي: تشجيع المبحوثين على مقاطعة الباحث، وترك الحرية لهم لتوجيه المقابلة لبعض الوقت وتقديم معلومات ارتأوها مهمة. كما حرص الباحث على أخذ الإذن بتسجيل ملاحظاته وبياناته. وقد روعي أن تكون الأسئلة مفتوحة النهاية، والانتقال من العام إلى الخاص. والحقيقة أن جانباً من المقابلات قد دون في وقت لاحق استناداً إلى بعض الكلمات والجمل "المفتاحية" التي تُذكر بالموضوع العام.

وقد دار النقاش في أثناء المقابلات شبه الموجهة في ضوء التساؤلات والقضايا الآتية: (1) أهداف الحركة (من وجهة نظرك) إصلاحية أم راديكالية؟ (2) الأيديولوجيا: (منظور أعضاء الحركة للأيديولوجيا – الجيش، والشرطة، والقضاء، والإعلام، والمؤسسة الدينية، والنظام التعليمي – الديمقراطية التمثيلية، والديمقراطية المباشرة (الفعل المباشر). (3) القيم التي تدافع عنها الحركة من وجهة نظرك: الأهداف الإيجابية التي يتطلع إلى تحقيقها أعضاء الحركة. (4) الأنشطة والممارسات الاحتجاجية. (5) التكتيكات الأكثر تأثيراً (مسيرات، اعتصامات، إضرابات، إلخ). (6) الطموحات والتطلعات والشكوك. (7) السمات الثقافية التي تناقشها الحركة، وتنتقدها بصورة سافرة (ما يتعين تغييره، والصورة المثالية التي تتمنى أن يكون عليها المجتمع). (8) تصورات أعضاء الحركة للتغيير السياسي (تدريجي أم جذري). (9) تصورك لمستقبل الحركة. (10) شعورك تجاه السلطة الحاكمة. (11) الارتياب السياسي. (12) النظرة إلى الأحزاب السياسية، والحركات الاجتماعية الأخرى. (13) الرموز: شعورك حيال رمز الحركة (القبضة) وما يثيره من انفعالات. (14) الشعارات التي تنادي بها الحركة أو ترفعها. (15) ماذا

تمثل لك الحركة على المستوى الشخصي؟ (16) الهوية، والشعور بالانتماء للحركة. (17) الذكريات الجمعية. (18) الحكايات التي تتذكرها (عن أحداث، أشخاص، أماكن، إلخ). (19) علاقتك بأعضاء الحركة الآخرين. (20) حلفاء الحركة وخصومها (داخل الحركة وخارجها): التفاوض، التحالف، التعاون، المنافسة، الصراع. يُضاف إلى ذلك بعض القضايا والرؤى التي أثارها المبحوثون في أثناء المقابلة.

(جـ) تحليل الخطاب:

يعرف موادیل Moaddel، في تحليله لخطاب الثورة الإيرانية، الخطاب بأنه مجموعة المبادئ، والمفاهيم، والرموز، والشعائر التي يستعملها الفاعلون لصناعة إستراتيجيات للفعل (Taylor & Whittier, 2004: 182). ويُعرف الخطاب بصورة نمطية بأنه مجموع التبادل الرمزي – لما يتم الحديث أو الكتابة عنه – للعلاقات المتبادلة بين الرموز وحدوثها occurrence المنظم. ويشير الخطاب إلى المجموع الكلي للبيانات والتصريحات الرسمية، وسجلات المناقشات التي تدور في الاجتماعات، وأفعال المتظاهرين السياسيين وأنشطتهم، ومقالات الصحف، والشعارات، والخطب، والملصقات، والمطبوعات الهجائية، والكتيبات، إلخ، وهي خاصة بزمان، ومكان، وأناس بعينهم. ويشير مفهوم الخطاب، في بحوث الحركات الاجتماعية المعاصرة، إلى الوثائق، والكلمات التي تُسمع مصادفة، والتفاعل الذي يمكن تسجيله صوتياً وعن طريق الفيديو. ويعتبر كل ذلك أنواعاً مختلفة من النصوص تمثل أوعية يمكن فيها تبيان المؤثرات الثقافية وتحليلها (Johnston, 2004: 218 - 219).

وقد شمل تحليل خطاب الحركة الفترة من عام 2008 حتى مارس من عام 2015، وتسلط على أبرز البيانات والتقارير الصادرة عن الحركة، وتعليقات قادتها وأعضائها، ورسائل معتقليها، التي نشرت جميعها على موقعي التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر، والمدونة الخاصة بالحركة. وينضاف إلى ذلك مقالات وتصريحات ينشرها قادة الحركة. كذلك تركز تحليل الخطاب على الهتافات (التي دونها الباحث في أثناء الدراسة الحقلية)، والخطب التي دأب أعضاء الحركة وقادتها على إلقائها من فوق منصة اعتادت الحركة تشييدها خلال التظاهرات المليونية بميدان التحرير.

(2) الصدق والثبات:

هذا البحث كيفي بالأساس، لذلك يتوخى إجراءات وإستراتيجيات قياس الصدق والثبات المتعارف عليها في البحوث الكيفية (Bloor and Wood, 2006: 147-149).

ففيما يتعلق بالصدق (المدى الذي تعكس عنده نتائج البحث الواقع)، توخى الباحث إستراتيجية التعددية المنهجية triangulation فتوسل بعدة أدوات وأساليب منهجية، وهي الملاحظة المشاركة، والمقابلات شبه الموجهة، وتحليل الخطاب. كذلك يدعم الاندماج والاستغراق في الميدان وثقافة الحركة موضوع البحث، في حد ذاته، دقة الرصد الإثنوجرافي وصدقه. كذلك يدعم فحص النظرية الموجهة في ضوء البيانات الإثنوجرافية صدق النتائج التي خلص إليها البحث.

ويتحقق الصدق في البحث الكيفي عن طريق الاستعانة باقتباسات حرفية من أقوال المبحوثين داخل سياق المونوجراف أو النص الإثنوجرافي، وذلك بقصد إتاحة الفرصة للقارئ ليرى ويحكم على الكيفية التي من خلالها صيغت التأويلات، واستقيت من البيانات الإثنوجرافية. ويتفق ذلك مع إستراتيجية منهجية معاصرة، وهي الإثنوجرافيا ما بعد الحداثية متعددة الأصوات التي تنزع المركزية عن صوت الباحث، وتتيح فرصة ظهور أصوات أخرى داخل النص الإثنوجرافي. وبذلك لا ينفرد الباحث بالتفسير أو التأويل، وإنما يشارك مبحوثيه سلطة التفسير والكتابة، بما يحقق التمثيل الصادق للواقع.

وفيما يتعلق بإجراءات قياس الثبات (المدى الذي تبقى عنده البيانات كما هي إذا جُمعت وتم تحليلها عدة مرات) فقد حرص الباحث على تقديم وصف واضح لإجراءات جمع البيانات والإجراءات التحليلية، إضافة إلى تعددية أدوات جمع البيانات، التي كشفت عن درجة من الثبات النسبي.

(3) تحليل البيانات:

توخى البحث إجراءات ثلاثة، ترتكز عليها جميع صور التحليل الكيفي، بصرف النظر عن المنظور النظري الذي يتبناه الباحث، وهي: اختزال البيانات، عرض البيانات، والاستنتاج. وقد انخرط الباحث، في أثناء مرحلة جمع البيانات وبعدها، في كتابة مذكرات memoing، أي تدوين ملاحظات عن الأفكار أو التأملات الشخصية أو التصورية (المفاهيمية) أو النظرية التي ترد إلى الذهن في أثناء جمع البيانات وتحليلها؛ بما يعني أن الباحث يدون ملاحظات تأملية عما يتعلمه من البيانات (Hoonaard & Hoonaard, 2008: 186). وتوفر كتابة المذكرات تسجيلاً للمعاني المشتقة أو المستمدة من البيانات (Groenewald, 2008: 504). وقد راعى الباحث قواعد كتابة المذكرات، المتمثلة في وجوب أن تتضمن المذكرة الواحدة فكرة واحدة،

وأن يُحدد لها عنوان، ويُدون عليها تاريخ. على سبيل المثال، **مذكرة (32) – 15 يناير 2013 – ماذا تمثل لك الحركة على المستوى الشخصي**. وقد حققت كتابة المذكرات، والتحليل على هذا النحو التعامل مع عدد أقل من الأفكار والمفاهيم التي مثلت ركيزة لكتابة التقرير النهائي.

(4) مدة الدراسة الحقلية:

استغرقت مدة الدراسة الحقلية نحو عامين ونصف العام؛ إذ بدأت في يناير عام 2012، وانتهت في يونيه عام 2014.

رابعاً – نتائج البحث:

يمكن تصنيف نتائج البحث في ضوء أهدافه إلى ثلاثة مباحث رئيسة؛ يتناول الأول العلاقة بين ثقافة الحركة الفرعية أو الداخلية، والهوية الجمعية، ويقارب المبحث الثاني، دور الهوية الجمعية وتأثيرها، ويتناول المبحث الثالث ميكانزمات تشكيل الهوية الجمعية وعملياته.

المبحث الأول – الثقافة والهوية الجمعية:

تكترث جماعات الحركة، في الغالب، بإيجاد "ناشطين"؛ بمعنى أن التغير الذي تنشده يتمثل أو يوجد في مجموعة الهويات الشخصية والجمعية الموجودة داخل جماعات الأفراد. وتعد المساعدة على تحويل الأفراد والجماعات إلى أفراد يناضلون من أجل التغيير السسيوثقافي، شكلاً من أشكال التأثير الثقافي في ذاته (Williams, 2007: 956).

وتعتبر الهويات الجمعية، شأنها شأن الثقافة الفرعية، إحدى نتائج الحركة الثقافية. وتمثل الثقافة جزءاً متكاملاً من هوية ناشطي الحركة، وتحدد الثقافة معنى العضوية في الحركة والانتماء إليها، والسلوكيات المتوقعة من هذه العضوية. يؤشر ذلك على أن الثقافة تؤثر في أبعاد المعنى التي تشكل أساس الهوية الجمعية. ومن المقطوع به أن إنتاج الهويات يستلزم بناء عوالم ثقافية وتكوينها، وفي حالة الناشطين يمكن اعتبار هذه العوالم الثقافية "عوالم متصورة" figured worlds، تعرف بأنها عوالم متموضعة محلياً، ومتشكلة ثقافياً، ومنظمة اجتماعياً تجعل الفعل الهادف الذي يصدر عن الأفراد منظوراً؛ بمعنى قدرتهم على إعادة صناعة العالم الذي يعيشون فيه. وتؤدي هذه العوالم المتصورة إلى هويات شخصية وجمعية

خاصة ومتميزة (Escobar, 2007: 258). وتتألف الهوية الجمعية من "رأس مال ثقافي" مشترك يكتسبه الأعضاء عن طريق انتشار المعرفة داخل الحركة، ويستعملونه لتشكيل ذواتهم وماهياتهم. وعن طريق عمليات الهوية الجمعية، يطور الفاعلون حقيبة أدوات ثقافية مشتركة (Robnett, 2002: 267).

يصوغ الناشطون في تنظيمات الحركة الاجتماعية ثقافات فرعية أو داخلية ثرية تساعد على تدعيم التضامن والالتزام وإدامتهما، وتحقيق تكامل جماعة الحركة واستمراريتها. وتؤثر هذه الثقافة الداخلية في نمو الحركة وبقائها وإستراتيجياتها التنظيمية؛ وتدعم تشكل هويات جمعية تؤثر في ظهور الحركة، والتجنيد والتعبئة، والتكتيكات، والمخرجات أو النتائج. إذن تتشكل الهوية الجمعية بثقافة الحركة الفرعية؛ أي التوجهات والقيم والاتجاهات ورؤى العالم وأساليب الحياة وخبرات الفعل المشتركة. وتمثل الثقافة هوية جماعة الحركة الاجتماعية، وتعكس الهوية الجمعية سمات ثقافة الحركة.

وفيما يلي أبرز سمات ثقافة الحركة التي تعكسها الهوية الجمعية وتجسدها وتتشكل بها. تسعى الحركة موضوع البحث إلى إحداث تغيرات بنائية، وليس مجرد تغيرات جوهرية. بمعنى أنها تسعى إلى تغيير الطريقة التي يعمل بها النظام، وليس مجرد تغيير نتاج ومخرجات نظام معين دون التأثير على النظام ذاته (وتشمل التغيرات الجوهرية وضع قوانين وسياسات جديدة، أو تغيير القوانين أو السياسات، والحصول على فوائد ومكاسب لا تغيير السياسات القائمة): "**حيث إنه لا فائدة تُرجى من الإصلاح أو الترقيع في ظل تلك القوانين والسلطات المتشابكة...فلا بديل عن تغيير منظومة بالكامل... وربما بعض عادات الشعب أيضاً**"[(5)]. **يشي ذلك أن الحركة تؤثر الفعل الراديكالي لتحقيق أهدافها.**

وتميل الحركة، كغيرها من الحركات التي ينتمي غالبية أعضائها إلى الطبقة الوسطى الجديدة، إلى خوض صراع مع الجيش، والشرطة، والقضاء، والإعلام، والمؤسسة الدينية، والنظام التعليمي، باعتبارها جميعاً أعمدة داعمة للسلطة. وتنتمي

(5) راجع، أحمد ماهر، نقاشات ما قبل الثورة: سياسة النفس الطويل، 2008.
Retrieved from,
https://shabab6april.wordpress.com/%D9%84%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D9%85%D8%B9%D9%86%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B6%D9%85%D8%A7%D9%85/

حركة 6 أبريل إلى فئة الحركات الاجتماعية الجديدة التي وصفها آلان تورين بأنها لا تخدم نموذجاً مثالياً للمجتمع، أو حزباً سياسياً، أو أيديولوجيا، أو إستراتيجية سياسية. وبدلاً من ذلك تدافع عن حقها في الاستقلال والاختيار الأخلاقي. ويتحدث الخطاب الأخلاقي للحركة الاجتماعية عن الحرية – خاصة حرية التعبير – واحترام حقوق الإنسان، والنهوض بأوضاع المرأة، والمشروع الحياتي life project، واحترام الحقوق الأساسية، التي لا يمكن أن تُختزل إلى مكاسب مادية أو سياسية.

متحرمش المظاهرات... عايزين دولة حريات هنفضل ثورجيه... لحد منوصل للحرية شدي حيلك يا بلد... الحرية بتتولد متقولها قوية... فين الحرية	دم ولادنا للحرية... مش للإخوان والبلطجية... مش لعصابة الإخوانية صوت المرأة ثورة ثورة... حكم الإخوان لينا عورة شدوا حيلكم يا شباب... الحرية على الأبواب

ويشخّص أعضاء الحركة ثقافتها بأنها ثقافة "الأيديولوجيا"؛ بمعنى أن الحركة التي ينتمون إليها حركة شعبية تحوي أيديولوجيات مختلفة متعددة، ومذاهب وأفكاراً متنوعة، لكن الهدف الذي تسعى إليه واحد، وهو التغيير (الثورة، إسقاط النظام)، وتوحيد الشباب من مختلف الأيديولوجيات لتحقيق هذا الهدف.

ومع ذلك تشترك حركة شباب السادس من أبريل مع الحركات الاجتماعية الجديدة في سمة أيديولوجية تتمثل في التشكك في – بل نبذ – أبنية الديمقراطيات التمثيلية التي تقيد إمكانية وصول المواطن إلى الحكومة ومشاركته فيها. وبدلاً من ذلك تدافع الحركة عن الديمقراطية المباشرة (الفعل المباشر)، وجماعات المساعدة الذاتية self-help، والأساليب التعاونية للتنظيم الاجتماعي. إن انحسار الثقة في الأحزاب القائمة قد أفضى إلى تزايد الاهتمام بالأشكال المباشرة للفعل السياسي، ويشمل ذلك ذخيرة كبيرة من الإستراتيجيات والتكتيكات بعيداً عن سياسات التسوية والتفاوض. وتعد الديمقراطية المباشرة direct democracy الأقرب إلى اهتمامات الناس؛ لأنها تتعامل مع المشكلات مباشرة دون وسطاء. والفعل المباشر هو الفعل الذي تؤتيه الحركات الاجتماعية عادة، ويهدف إلى التأثير في الهدف مباشرة، على سبيل المثال: المسيرات، الاجتماعات الحاشدة، الاعتصامات، والإضرابات. ويتعامل الفعل المباشر مع المشكلة مباشرة دون الحاجة إلى وساطة سياسيين أو بيروقراطيين.

وتشترك حركة 6 أبريل مع غيرها من الحركات الاجتماعية الجديدة في سمة

أيديولوجية تتمثل في ميلها إلى أن تكون تشاركية participatory، وتتجنب تشكل نخب بيروقراطية داخل تنظيمها: "**الأصلح من نختاره، وليس الأقدم ... الأقدم عضو عادي، والقيادات كلنا واحد**". والمؤكد أن الحركة قد رفضت منذ البداية الانضواء تحت مظلة النخبة بما يتوافق مع ثقافة الحركة غير النخبوية، وآثرت أن تكون قراراتها مستقلة تُتخذ عن طريق المشاركة الفعالة للشباب. ولكن برغم ذلك، انبثقت نخب داخل الحركة سعت إلى الانفراد بصنع القرار من منطلق فكرة الأقدمية: "**فيه مجموعة معينة هي اللي عايزة تنفرد بالقرارات، والمجموعة دي مفيش حد انتخبها أو اختارها كل الموضوع إن الجماعة دي هي الأقدم**".

وتبتعد الحركة عن الأشكال الصارمة للتنظيم الرسمي والبيروقراطي، وتفضل الأشكال الفضفاضة والمرنة؛ بمعنى أن الحركة تنظم ذاتها بأسلوب مرن غير صارم يتحاشى مخاطر ديكتاتورية الأقلية. وهكذا تفضل الحركة وجود أبنية أكثر استجابة لحاجات الأفراد – مفتوحة، غير مركزية، وغير هيراركية. وعلى شاكلة الحركات الاجتماعية الجديدة، تميل حركة 6 أبريل إلى اعتناق وقبول مفهومات مثل التنوع، واللامركزية، والطابع غير الرسمي، وديمقراطية القاعدة Grassroots democracy؛ وذلك بدلاً من مفهومات الوحدة، والمركزية، والطابع الرسمي، والقيادة القوية المتعالية: "**القادة ميدانيين موجودين معانا في الشارع**". بتعبير آخر، تفضل الحركات الاجتماعية الجديدة العمليات اللامركزية، وغير الهيراركية، والتي تقوم على المشاركة. وتميل الحركة إلى تناوب القيادة، والتصويت بصورة جمعية على جميع القضايا، وأن تمتلك تنظيمات مؤقتة ومخصصة لأغراض معينة.

وتكشف المقابلات شبه الموجهة والملاحظة بالمشاركة عن كثرة من قيم ما بعد المادية؛ إذ تسعى الحركة، على شاكلة الحركات الاجتماعية الجديدة، إلى تحقيق الاستقلال الذاتي، والتحرر من الضوابط الاجتماعية المتطفلة. ويناقش الفاعلون القيم الثقافية والتغيرات الثقافية بدلاً من المشاركة والانخراط في الأنماط الاجتماعية للفعل؛ هؤلاء الفاعلون موجهون ثقافياً لا اجتماعياً (Wieviorka, 2005: 6). لذلك توصف هذه الحركات بأنها "حركات معبأة ثقافياً".ويزدري أعضاء الحركة السلطة بأشكالها ونماذجها المتنوعة، وذلك في سبيل التركيز على الحاجات الفردية الشخصية. ويتسع منظورهم للسلطة ليشمل كل ما يحول دون الاستقلال الذاتي ويكبل حرية الفرد، أو يدعم ممارسات تقييد الحرية التي تمارسها السلطة الحاكمة أو سلطة الدولة، أو يسهم في تزييف وعي الجماهير وتضليلهم. وهكذا تبرز قيم التعبير

عن الذات بمنأى عن سلطة العائلة، والأسرة، والدين، والدولة. ويبرر أعضاء الحركة ازدراءهم لجميع أشكال السلطة بأن السلطة مكبّلة مقيدة للحرية، ومهدرة للحقوق، ومنكّلة بالآخر المغاير.

ومن التوجهات ما بعد المادية المميزة للحركات الاجتماعية الجديدة بعامة، وحركة 6 أبريل على وجه الخصوص، منح الأفراد مساحة أكبر لمناقشة القرارات الحكومية. ويمكن وصف ثقافة حركة 6 أبريل بأنها "ثقافة ارتياب سياسي" political mistrust. ومن المؤسسات التي تُواجه بارتياب وعدم ثقة ما يمثل الدولة والنظام السياسي: البرلمان، الجيش، الشرطة، الإدارة العامة، القضاء، والضمان الاجتماعي (Dogan, 2005: 13, 15). فقد اتجه الأفراد إلى تقييم قادتهم وفق معايير أكثر قسوة مقارنة بالماضي. وصار المواطنون منخرطين في السياسة بطرق غير تقليدية، وتحولوا إلى ما أطلق عليه بيبا نوريس Pippa Norris "المواطنين الناقدين" critical citizens. وقد دعم ذلك المشاركة السياسية على مستويات القاعدة (Power & Jamison, 2005: 58).

وتتوسل حركة شباب السادس من أبريل بأساليب ووسائل الفعل غير العنيف nonviolent action التي تتوافق مع أيديولوجية الحركة. وتمثل وسائل الفعل غير العنيف الأفعال التي لا تشمل العنف البدني (الفيزيقي) أو التهديد باستعمال القوة الفيزيقية ضد البشر. ويشير مصطلح الفعل غير العنيف إلى أساليب الاحتجاج، وعدم التعاون (المقاطعة) noncooperation، والتدخل، وفيها يرفض الناشطون أو الفاعلون، دون استعمال عنف بدني، فعل أو أداء أشياء معينة يُتوقع أو يطلب منهم أداؤها؛ أو أشياء معينة لا يُتوقع منهم أداؤها أو يُمنعون من أدائها. وفي حالة معينة بالطبع يمكن أن يكون هنا اجتماع لأفعال العزوف (الإهمال) وأفعال الإتيان (Sharp, 2007: 120). يؤشر ذلك على أن الحركة تتوسل بتكتيكات المواجهة، والمقاطعة، والتعطيل، على سبيل المثال احتلال المباني، والمقاطعة، وإعاقة الشوارع. كما يوظف ناشطوها تكتيكات قانونية مثل المسيرات، والاعتصامات، والإضرابات، والتظاهرات الحاشدة والمليونية، والعصيان المدني، والدعاوى القضائية (Zirakzadeh, 2006: 4- 5).

المبحث الثاني – دور الهوية الجمعية وتأثيرها:

تطور تنظيمات الحركة الاجتماعية أطراً إستراتيجية، وتدعم تشكل هويات جمعية تدفع الأعضاء إلى الانخراط في فعل جمعي (Smith, 2002: 506). يشي ذلك

بأن تشكيل الهوية قصدي وإستراتيجي (Flynn, 2011: 96). بمعنى أن الحركة الاجتماعية تنزع – بصورة قصدية – إلى تشكيل هوية جمعية أو صورة ذاتية self - image تميز جماعة الحركة وتسهم في تحقيق أهدافها، ويتحقق ذلك عن طريق تشكيل وعي أعضاء الحركة. وتفترض إحدى نظريات الحركة الاجتماعية وجود هوية جمعية تدفع الفعل الجماعي وتحفزه (Howard, 2000: 384). وتتطلب هذه الهوية إدراكاً للعضوية في جماعة مترابطة لها حدود، ووعياً بأيديولوجيات تلك الجماعة، ومعارضة مباشرة لنظام سائد (نظام الرئيس السابق حسني مبارك، الإخوان المسلمين، الثلاثين من يونيو).

ويعني تشكيل الهوية الجمعية للحركة وتعزيزها وجوب أن يشعر أعضاؤها بأنهم يشتركون في سمات بارزة مع آخرين داخل الحركة، وأن هذه الهوية تؤثر في تفكيرهم وسلوكهم، وتعد مهمة بدرجة كافية لتدعم أو تُحمى عن طريق الفعل: "**كوني جزءاً من الحركة يؤثر مش بس في سلوكياتي وأسلوب حياتي، ولكن كمان في تفكيري... من المهم أن تعرف ماهيتك**". وتسهم الهوية الجمعية في تعبئة الحركة، وتدعيم الانتماء والالتزام بأهدافها وغاياتها. إذ لابد أن يمتلك الأفراد الرغبة في بذل الوقت والطاقة، وربما مجابهة المخاطر. ويجب أن تظل المعنويات مرتفعة، وأن يُعاد تأكيد الهويات المشتركة، وأن يتم تعزيز التضامن الجمعي أو تضامن الجماعة: "**يآه الحركة بتمثلي حاجات كتير... أنا بقضي في الحركة وقت أكتر من اللي بقضيه في بيتي... بحس بالانتماء للحركة والاعتزاز بيها ... وتربطني بأعضائها علاقات قوية**".

وتسهم الأغاني، والشعارات، وحصيلة المفردات الخاصة، والزي، والشعائر، والأعلام والرايات، والمنشورات، والأحداث، وصور التعرض الإيجابي الهادف للميديا، والمكان (إلى جوار تمثال عمر مكرم بميدان التحرير) في هذه العملية –أي جعل رفقاء الحركة وأعضائها يعرفون ماهيتهم وهويتهم، وتمييزهم عن آخرين، وذلك حسبما بيّنت الملاحظة بالمشاركة: "**الحركة خلتني أكثر فهماً لماهيتي ... وحاسس إني أقوى، وإن حياتي ليها معنى وفيها قضية بدافع عنها**". وتحقق الحكايات والقصص لأعضاء الجماعة تأطير تاريخ مشترك وتشكيله، وترتيب أو تراصف الخبرات والدوافع والانفعالات والهويات. ويصوغ المشاركون في الحركة حكايات تتعلق بالهوية، وتربط خبراتهم، وتفسر حياتهم بلغة مصطلحات أطر المعنى

المتموضعة تاريخياً وسياقياً في مجتمعات أو جماعات الحركة الاجتماعية. وهنا يروي عضو بالحركة الحكاية التالية:

"محمد محمود ... جمعة 18 حازم أبو إسماعيل قال عندنا انتخابات، ومش لازم نسيب الفلول يفوزوا ... وظل أهالي الشهداء موجودين في صينية الميدان ... فيه ضابط قطّع الخيم بالمطوة يوم 19 بداية محمد محمود ... حرقوا الصينية وسجنوا الناس في محطة المترو، وكانوا بيرموا عليهم قنابل مسيلة للدموع ... في ثواني اتملى الميدان بالناس ... ضربونا في الميدان تاني ... حاربنا لحد ما أخدنا 50 متر جوا الشارع ... كر وفر ... وفيه ناس بالداخل رايح جاي ... طلعنا جميعاً وفضل واحد مننا ... دخلنا نجيبه 5 قنابل غاز حاصرتنا اتحبسنا في الغاز، وكنت هاموت لولا نقلوني إلى المستشفى".

إن نجاح الحركة في تحقيق أهدافها والانتشار يتوقف على نجاحها في تشكيل هوية جمعية تحقق استقطاب أعضاء جدد للمشاركة، والانتماء، والالتزام، والتضامن الذي يعززه شعور أعضاء الحركة بالاعتداد والافتخار بكونهم جزءاً من وحدة مشتركة. وهنا يقول عضوان بالحركة:

"أبريلي وافتخر ... الحركة بتجري في دمي ... حسيت بالحياة ووطنيتي بعد الانضمام للحركة جامعة الشارع المصري ... الحركة خلتني اعمل حاجة صح لأول مرة". "أنا فخور بانتمائي لستة أبريل وبالشباب وأفكارهم للمستقبل وبأتشرف إني كعضو بانتمائي للحركة ... بأتمنى الاستمرار في النضال لحين تحقيق أهداف الثورة ونقاوم أي سلطة لا تنفذ مطالب الثورة، ولا تلبي رغبات المواطن العادي ومطالبه".

واضح أن بروز هوية جمعية وتشكلها يؤثر في التعبئة، والمسار، والتأثيرات التي تحدثها الحركات الاجتماعية. وتؤدي الهوية الجمعية للحركة دوراً مؤثراً عبر مسار تطورها. على سبيل المثال، في تفسير ظهور الحركة، يمكن القول إن الهوية توحد أشخاصاً متباينين في وحدة متماسكة من خلال توفير إطار مشترك، وتعزيز التضامن الجماعي. وأثناء التجنيد، يمكن لهوية بارزة قوية أن تساعد الأفراد على حسم أمرهم فيما يتعلق بالانضمام للحركة. وللهوية تأثير إيجابي في الفعل الجمعي،

وتحديداً في السلوك الاحتجاجي. فكلما كانت الهوية الجمعية لجماعة معينة قوية، ارتفعت احتمالية انخراط الجماعة في احتجاج جمعي (Opp, 2009: 217 - 218).

المبحث الثالث – ميكانزمات وعمليات تشكيل الهوية الجمعية:

تتشكل الهويات الجمعية داخل مجتمعات الحركة الاجتماعية، ولكنها تتشكل بعوامل داخلية وخارجية تتفاعل في تشكيل مسار الحركة، والعلاقات بين أعضائها، والهوية السياسية. وهناك عاملان خارجيان – التغطية الإعلامية للحركة، ودرجة القمع الذي يستعمل في مناهضتها – يؤثران بصورة أساسية في الديناميات الداخلية ومجال الحركة، وآليات تشكيل الهوية، وذلك بطرق غير متوقعة أحياناً؛ ذلك أن التغطية الإعلامية التي يعتبرها أعضاء الحركة منحازة للخصم وتشوّه الحركة تؤكد الهوية وتدعمها وتعيد إنتاجها، وذلك على عكس المتوقع: "**هجوم وتشويه الإعلام للحركة بيأكد لنا إن إحنا صح ... كل حاجة بيدافع عنها الإعلام أكيد خطأ**". ينسحب ذلك على القمع الذي يمارسه الخصم، فكلما ازدادت درجة القمع ووطأته تأكدت الهوية، وما يرتبط بها وتحققه من انتماء والتزام وتضامن. ويذكر عضو بالحركة:

> "**تعرضنا للتشويه والاعتقال والتشويه النفسي لكن ذلك يزيدنا إصراراً ... 6 أبريل هي الأمل ... أنا أبريلي.. . مهما قالوا عننا...مهما كتبوا عننا ... أنا أبريلي ... مستعد للتضحية من أجل بلدي الغالي ... أناأبريلي وافتخر ... بندفع بعضنا البعض على الأمل، وبنشجع بعض ... مفيش مكان لليأس**".

أما فيما يتعلق بالعوامل الداخلية فيمكن الدفع بأن الهوية الجمعية تنبثق من التفاعل داخل سياقات الحركة، والخبرات المشتركة، حيث يحوّل ويغيّر الأعضاء والمشاركون إحساسهم بذواتهم وإدراكهم لها. وتصوغ الحركة هوية جمعية تربط وتوحد الأفراد من مواقع اجتماعية مختلفة. وتعد الهوية الجمعية تأويلاً للخبرة الجمعية للجماعة: من أعضاء الحركة، ما سماتهم، ما المشترك بينهم، وكيف يختلفون عن الجماعات الأخرى، وما الدلالة السياسية لكل ذلك؟وتصوغ الحركة إطاراً يجيب عن هذه التساؤلات، ويرتسم صورة الحركة، ويحدد معالم هويتها وقسماتها، وذلك من خلال الإجابة عن سؤال: "**من نحن**"؟

> "**مجموعة من الشباب المصري من مختلف الأعمار والاتجاهات**

تجمعنا على مدار عام كامل، منذ أن تجدد الأمل يوم 6 أبريل 2008 في إمكانية حدوث عمل جماعي في مصر يسهم فيه الشباب مع كافة فئات وطبقات المجتمع في كافة أنحاء الوطن من أجل الخروج به من أزمته، والوصول به لمستقبل ديمقراطي يتجاوز حالة انسداد الآفاق السياسية والاقتصادية والاجتماعيةالتي يقف عندها الوطن الآن. لم يأت أغلبنا من خلفية سياسية ما، ولم يمارس أغلبنا العمل السياسي أو العمل العام قبل 6 أبريل 2008، ولكننا استطعنا ضبط بوصلتنا، وتحديد اتجاهنا من خلال الممارسة أثناء ذلك العام"[6].

وتكشف الملاحظة بالمشاركة أن الحركة تؤكد صورتها وهويتها في الأفعال، والشعائر، والزي، الخطب أو الأحاديث، والنصوص والرموز التي تمثل معيّنات الهوية – العناصر التي تحدد وتعيّن هوية الحركة. وقد اتخذت الحركة من "الذراع المرفوعة والقبضة المضمومة" أو "القبضة المرفوعة" (en) صورة ممثلة LOGO تحقق نقل هوية التنظيم بصورة مباشرة وعاجلة، وترمز غالباً إلى التضامن مع جموع الشعب، وترمز إلى المقاومة السلمية أو حتى إلى أيديولوجيا المقاومة السلمية.

وتجسد القبضة ثقافة اللاعنف التي تتماهى مع ثقافة الحركة، وتنقل رسالة مختصرة عن هوية الحركة مؤداها أنها حركة مقاومة سلمية، وتنقل رمزيتها معاني السلمية في مواجهة النظم القمعية، وتخلق انفعالات تدعم التضامن بين أعضاء الحركة، وتقوّي الروابط الوجدانية والعاطفية بينهم: "**الرمز دا بيديني شعور بالقوة والثقة والتضامن مع الأبريليين**". والقبضة إلى جانب كونها أداة لتعيين هوية الحركة وتحقيق التضامن بين أعضائها، تعد أداة لحشد أعضاء الحركة وتجميعهم

(6) http://6april.org/us.php

أثناء الفعاليات الاحتجاجية التي تشترك فيها حركات وتيارات سياسية أخرى، والمثال على ذلك التظاهرات المليونية التي شهدها ميدان التحرير، وميادين أخرى، خلال ثورة يناير، واستمرت حتى ثورة يونيو: "**بدوّر في الميدان على القبضة (الرايات أو البوسترات التي تحمل رمز القبضة) وأروح ناحيتها ... القبضة بنعرف بيها بعض لو في مسيرة أو مظاهرات**".

كذلك تتجسد هوية الحركة، وتتأكد، في أشكال التعبير الفني والأدبي، والشعارات، والهتافات: "**إحنا الصوت لما يحبوا الدنيا سكوت**"، "**قد نحاول الوصول إلى الأمل بشتى الطرق**"، "**أصحاب الدم والهم الوطني**"، "**أنا أبريلي لم أنس يوماً ميداني**"، "**أنا أبريلي ولو فقدت نور العين**".

متعبناش متعبناش ... دي الحرية مش ببلاش

أنا مش جبان أنا مش جبان.... أنا ميت ميت في الميدان

خارجين (نازلين) من بيوتنا ..... ناويين على موتنا

ارفع كل رايات النصر ... إحنا شباب بيحرر مصر

لو لمونا من الشوارع ... صوت الثورة طالع طالع

لو لمونا من البيوت ... صوت الثورة مش هايموت

إن التفاعل بين جماعات الحركة (أو الشبكات الخفية المغمورة، على حد تعبير ميلكسي) هو الذي يشكل الهوية الجمعية ويدعمها، إذ تمثل الحركات الاجتماعية شبكات قوامها علاقات غير رسمية. ويحاجّ منظرو تعبئة الموارد بأن أنماط التنظيم والشبكات الأكثر أو الأقل رسمية توفر الموارد لظهور الحركة واستمراريتها (Salman & Assies, 2007: 227).

وتؤثر الشبكات الاجتماعية في احتمالية مشاركة الأفراد في فعل جمعي، كما تؤدي دوراً مؤثراً في عمليات التجنيد إلى جانب الميديا. ويشير البعض إلى دور الاتصالات الشخصية سواء في سياقات شخصية (العائلة، دوائر الصداقة الشخصية، والزملاء)، أو في سياق الأنشطة الجماعية الأخرى، في علميات التجنيد. وتتعدى أهمية الانطمار أو الاندماج في شبكات اجتماعية التجنيد، إلى الحيلولة دون الرحيل عن الحركة، ودعم المشاركة المستمرة (Della Porta & Diani, 2006: 117 - 118). وتؤدي التكنولوجيات الجديدة والشبكات الافتراضية دوراً بالغ الأهمية وغائر التأثير

في تشكيل هويات جمعية، والتجنيد وتدعيم الانتماء، والحفاظ على مشاعر التوحد والتماهي المتبادل والتضامن التي تربط فاعلي الحركة معاً، وتضمن استمراريتها وبقاءها حتى عندما تتوقف حملات وفعاليات معينة (Della Porta & Diani, 2006: 95, 133; Webster, 2001: 117 - 118). وهنا تؤكد بعض البحوث دور فيس بوك في تحقيق الانتماء والعضوية في جماعة معينة (Witte and Mannon, 2010: 86): "**أتكونت الحركة في البحر الأحمر بعد الثورة ... الإنترنت ساعدنا في التواصل خصوصاً أن الطبيعة الجغرافية للبحر الأحمر والمسافات الكبيرة بين المدن تحول دون ذلك**".

وتعتبر جماعات الألفة أو الأقران peers من العوامل الداخلية التي تشكل الوعي، والالتزام، والهوية. فعلى الرغم من أن الأفراد الذين ينضمون إلى تنظيمات الحركة الاجتماعية قد كونوا بالفعل معتقداتهم السياسية بمجرد تحولهم إلى ناشطين، على الرغم من ذلك تنمو هويتهم السياسية وتتشكل بصورة أكبر وأعمق عن طريق المشاركة والتفاعل مع جماعات الألفة أو الأقران، حيث تتطور معتقداتهم عبر الزمن. وعلى وجه الخصوص، يعد التفاعل مع الأقران وحجم التنظيم أساسيين وهامين لخبرة الفرد وتوجهه. وتكشف الملاحظة بالمشاركة عن أن الأقران يؤدون دوراً بالغ الأهمية في بناء التضامن داخل الحركة، وتعليم الناشطين المزيد عن أيديولوجيا سياسية أكثر تعقيداً. وتؤكد المشاهدات الإثنوجرافية ذلك، إذ يحرص قادة الحركة على تزويد أعضائها، خاصة الجدد، بكتب وقراءات تدعم الوعي بأهداف الحركة وأيديولوجيتها، ويحرص الأقران بدورهم على تبادل هذه المواد.

ويقرر الناشطون أعضاء الحركة أن التفاعل مع الأقران وجماعة الألفة قد عضد التزامهم وانتماءهم للحركة، وأكسبهم فهماً أعمق للعالم السياسي. إن وجود الناشط أو عضو الحركة مع أشخاص يشاركونه رؤى وقيماً مشابهة يوفر دعماً، ويعيد تأكيد رؤية الناشطين الذاتية للعالم، ويختزل أعضاء الحركة تلك الرؤى والقيم ورؤية العالم في كلمة "**حلم**". إذ يؤكدون أن حلماً يجمعهم ويوحدهم: "**عايزين حلمنا .. حلمنا ما زال لم يتحقق**".

ويتأكد لدى أعضاء الحركة أنهم ليسوا بمفردهم في ممارسة قناعاتهم والعمل وفقاً لها، وأنهم يفعلون الصواب. ويدعم الأقران حماسة جمعية تساند وتقوي المعنويات خلال شهور طوال من التنظيم، ويتضامن أعضاء الحركة في الأفراح

والأتراح والملمات. تبدى ذلك في شعائر تأبين عضو الحركة جابر صلاح (جيكا) في ميدان التحرير، وفي التضامن مع أعضاء الحركة المصابين والمعتقلين وأسرهم: "**العلاقات بين المجموعات قوية وأخوية ... عائلة واحدة ... علاقات تضامن ... لكن علاقاتي أقوى بأعضاء مجموعتي ... فيه تكافل للمعتقل ... اللجنة المالية والإعاشة بتقدم مصاريف للمعتقل، وتحاول مساعدة أسرته برغم محدودية مواردنا**".

وبالإضافة إلى ذلك، يؤدي الأقران دوراً في دفع معتقدات الناشطين وتطويرها. ويعمل الأعضاء الذين انخرطوا في نشاطات الحركة لفترة طويلة كنماذج للدور، ويعلّمون الآخرين عن القضايا والنظرية، ويجيبون عن تساؤلات تعنّ للجمهور في أثناء فعاليات احتجاجية كالاعتصامات. ويقدم الناشطون الخبراء مفردات ترسخ هوية الناشط، وتعمّق التزامه وانتماءه للحركة. وعن طريق التفاعل الاجتماعي والمحادثات أو الحوارات اليومية يصوغ الأقران إطاراً عريضاً للقضايا الفردية، يشكل تفصيلات الأيديولوجيا السياسية وتفصيلات الهوية. ويتجلى دور الناشطين الخبراء أو القدامى في عملية التكريس التي يحظى بها الأعضاء الجدد، والمتمثلة في حفلات استقبال الأعضاء الجدد. حيث يُعلن عن هذه الفعالية أو الحدث على شبكة الإنترنت. وبعد حضور الأعضاء الجدد إلى مكان الفعالية يلتقي بهم قادة الحركة وناشطوها القدامى لإعلامهم بهيكل الحركة ولجانها وأهدافها. ويعد ذلك الحدث بداية عملية متواصلة من الغرس الثقافي تمارسها الحركة في فعالياتها ومناشطها، وعبر الإنترنت بشكل يومي. نخلص من ذلك إلى أن جماعة الألفة أو الأقران يعملون داخل الحركة على تدعيم الالتزام وتقويته، ويربطون الأفراد بالحركة بقوة، ويصوغون إطاراً عاماً وواسعاً للفهم والإدراك (Klatch, 2002: 189, 192).

ميكانزمات الهوية الجمعية:

توضح التفاعلات وأنساق المعنى في جماعة الحركة عمليات بناء الهوية (Taylor & Whittier, 2004: 173). وقد حدد تايلور Taylor ووايتير Whittier ثلاثة ميكانزمات مترابطة من خلالها تتراكب وتتشكل الهوية الجمعية داخل مجتمعات الحركة، ومن خلالها يشكل الفعل الهوية، وفيها يضفي فاعلو الحركة الاجتماعية على الهوية دلالة وأهمية وشكلاً. ويعتبر تايلور ووايتير هذه الميكانزمات أدوات تحليلية تحقق فهم بناء وتركيب الهوية الجمعية (Hunt & Benford, 2004: 441). وهذه الميكانزمات هي: (1) الحدود boundaries: تأسيس وترسيخ حدود فاصلة

(Whooley, 2007: 586)؛ بمعنى تشييد وبناء حدود تؤسس الاختلافات وتميز بين أعضاء الجماعة المحتجة المعترضة، والجماعات المسيطرة (Staggenborg, 2005: 757). (2) الوعي consciousness: تشكيل وتنمية الوعي؛ بمعنى تشكيل وعي بكون أعضاء الحركة ينتمون إلى جماعة لها اهتمام أو مصلحة مشتركة تتعارض مع النظام المسيطر (Taylor & Whittier, 2004: 173). (3) التفاوض negotiation؛ بمعنى تفاوض أساليب جديدة للتفكير والفعل، سواء بصورة شخصية أو عامة (Staggenborg, 2005: 757). ويتضمن ذلك إضفاء الصبغة السياسية على الحياة اليومية عن طريق استعمال الرموز والأفعال اليومية بقصد مقاومة وإعادة هيكلة أنساق السيطرة القائمة. ويمثل هذا النموذج محاولة لإعادة التنظير لما يُعرف بسياسة الهوية، التي تجعل من الفرد موقعاً أو موضعاً للنشاط السياسي (Taylor & Whittier, 2004: 173).

الحدود:

تنشأ الهوية من عمليات التحديد الذاتي self-identification والإدراك الخارجي، وتُجابه التمثيلات الذاتية للفاعلين أعضاء الحركة، باستمرار، بصور لهم تنتجها المؤسسات، والجماعات الاجتماعية المتعاطفة والمعادية، والرأي العام، والميديا. ويتضمن تركيب وتشكيل الهوية طموحاً إلى تمييز الذات. وتناضل الحركة الاجتماعية لتأكيد هويتها، ومن دون ذلك تُهمش وتنزوي، وتتحول إلى ظاهرة منحرفة. ويستلزم تشكيل الهوية وتأكيدها والحفاظ عليها أو إعادة إنتاجها تشييد حدود بين الحركة (النحن)، والخصوم (الهم). ويعرف ذلك بنشاط تعريف وتعيين الحدود boundary definition –؛ بمعنى تعريف وتعيين من يمثل جزءًا من الشبكة، ومن لا يمثل (Della Porta & Diani, 2006: 21, 105 - 106).

وغني عن البيان أن الكلمة الإنجليزية boundary تشير إلى: (1) حرفياً، الحدود التي تقسم وتفصل بين الأقاليم على الأرض، (2) وبصورة أكثر تجريداً، وضع حدود تميز الجماعات الاجتماعية عن بعضها البعض. وثمة صورة للحدود مؤداها أنها تشير إلى التقسيمات أو الفئات التي تفصل بين الجماعات الاجتماعية المتميزة أو المختلفة (Barth, 2000: 17 - 18). وتشير الحدود إلى الأبنية الاجتماعية والسيكولوجية والفيزيقية التي تعيّن وترسخ الاختلافات بين جماعة المعارضة والمقاومة (الحركة)، والجماعات المسيطرة (الخصوم)، أو بين الأعضاء الذين ينتمون إلى الجماعة، وغير المنتمين. وتعيّن الحدود النطاقات الاجتماعية لعلاقات الجماعة عن طريق إبراز

الاختلافات الأخلاقية والمعرفية والوجدانية أو العاطفية والسلوكية المفترضة، وغيرها من الاختلافات المميزة بين أعضاء الحركة الاجتماعية وشبكة الآخرين في العالم الاجتماعي الخلافي (Hunt and Benford, 2004: 442-443). إذن، يشكل عمل الحدود دينامية رئيسة لتركيب الهوية الجمعية. وبفضل تشكيل إدراك وشعور قوي بماهيتهم، يشكل أعضاء الحركة وأنصارها إدراكاً وشعوراً بماهية ليسوا عليها أو لا يمتلكونها. بتعبير آخر يستلزم عمل الحدود تركيب وتشكيل ذات جمعية، وآخر جمعي: "**نحن**" و"**هم**". ويتجسد ذلك في هتافات الحركة.

إحنا شباب بنواجه دولة

إحنا حاجة وهمّ حاجة ... همّ باعوا كل حاجة

هم باعوا الجلابية، والوطن والمسؤولية ... وإحنا مبنبعش مصر

هم مين وإحنا مين ... هم المال والسلطة معاهم، وإحنا الفقرا الشقيانين

قالوا علينا شباب كنتاكي ... وإحنا يا مصر روحنا فداكي

قالوا علينا شباب سيس ... وإحنا اللي خلعنا الرئيس

ياللي بتسأل إحنا مين ... إحنا شباب 25 ... دم الشهدا مش ناسيين

مصر يا أم ولادك أهم ... دول علشانك ضحوا بدم

مصر يا أم ولادك أهم ... بناتك أهم ... دول علشانك شالوا الهم

هما اتنين ملهمش أمان ... الداخلية والإخوان

قالوا عليّا بلطجي ... وأنا أبريلي ثورجي

يشكل الفعل الهوية عن طريق تعريف وتحديد الحدود القائمة بين الفاعلين المشاركين في صراع معين. والحقيقة أن الفعل الجمعي لا يمكن أن يحدث في غيبة من "**نحن**" تتميز بسمات عامة وتضامن من نوع معين. كذلك من الأمور الأساسية تحديد هوية "الآخر" الذي يعرف بأنه المسؤول عن الظرف أو الوضع المتردي الذي يوجد فيه الفاعل، الذي تتم التعبئة لمعارضته. وتعكس مطالب الحركة هويتها المشتركة؛ ذلك لأن هذه المطالب تنصب على مظالم وشكايا الجماعة كجماعة. وهكذا يدل تشكيل الهوية، ضمناً، على تعريف إيجابي للمشاركين في جماعة معينة، وتحديد سلبي لهوية من تتم معارضتهم. ويتضمن أيضاً علاقة بمن يجدون أنفسهم

في موقف محايد. وبذلك تتشكل هوية الحركة الاجتماعية من خلال الإشارة إلى "الأنصار والخصوم والجماهير" (Della Porta & Diani, 2006: 93 - 94).

ولا ريب في أن الحركة في بحث دائم لا يعرف الكلل عن خصوم، بل وتخلق خصوماً بقصد تدعيم هويتها وتضامن وتماسك أعضائها، واستقطاب أعضاء جدد. يتضح ذلك في صراعها مع نظام الرئيس السابق حسني مبارك، والمجلس العسكري، والإخوان، ونظام الثلاثين من يونيو. وتختزل الحركة كل خصومها في خصم واحد هو نظام الرئيس السابق حسني مبارك؛ بمعنى أن الحركة تعتبر هذا النظام خصماً أبدياً، وتتهم النظم التي توالت بعد سقوطه بأنها امتداد أو إعادة إنتاج لهذا النظام بصورة أو بأخرى: "**مجلس مبارك العسكري ... الرئيس مرسي يسير على خطى مبارك بنفس العناد ونفس الغرور**". بل يمكن الدفع بأن الحركة تعيد إنتاج صورة هذا النظام في صراعاتها مع خصومها (ثبات صورة الخصم: الظلم، والاستبداد، والقهر، وفساد السلطة، والقمع الأمني، وامتهان كرامة المصريين، ونهب ثروات البلاد، والإفقار، وتردي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، والغباء: "**يانظام غبي افهم بقى مطلبي**").

وقد دأبت الحركة على مناوأة خصومها، ورفض التحالف معهم. وعندما انتهكت جبهة أحمد ماهر هذه القاعدة بتحالفها مع نظام الإخوان المسلمين، صارت هوية الحركة مهددة بالتفكك، وتضامنها مهدد بالتفسخ والتحلل، كما نشطت بذور الانشقاق الكامنة في جسد الحركة. وقد أفضى ذلك إلى انحسار جاذبية الحركة لأعضائها ولأنصارها المحتملين. نخلص من ذلك إلى أن تحول أو تغير موقف الحركة من الخصم والتحالف معه يفضي إلى تشكل هوية متحولة مبتسرة.

ترسم ثقافة الحركة صورة للخصم تخلع عليها معاني تتحداها وتعارضها الحركة، وبذلك تسهم ثقافة الحركة في رسم الحدود التي تعيّن هوية الحركة وتحددها. وتتمثل هذه المعاني – في حالة نظام الرئيس السابق حسني مبارك – في "الاستبداد"، و"الظلم"، و"القمع الأمني"، و"التصميت أو تكميم الأفواه"، و"الفساد"، إلخ. وتتمثل – في حالة نظام المجلس العسكري – في "الفشل"، و"التخبط"، و"القمع"، و"القتل"، و"التخوين"، و"الاتهامات بالعمالة والتمويل"، إلخ. وتتمثل – في حالة نظام الإخوان المسلمين – في "الفكر والممارسة الإقصائية"، و"التكفير"، و"التشويه"، و"التخوين"، و"القمع الأمني"،

و"الاستبداد"، و"القتل"، و"الفشل" و"العجز"، و"الغطرسة"، و"الغرور"، "والفاشية الدينية"، إلخ: "**30 يونيو كانت حق، بغض النظر عن كل إنسان أو مؤسسة استغلتها، لأن مرسي رفض طلب ديمقراطي أصيل بأنه يعمل انتخابات رئاسية مبكرة ... الإطاحة** بمرسي معناها إن مرسي كان عاجز، وفاشل"[(7)]. وتتمثل هذه المعاني – في حالة نظام الثلاثين من يونيو – في "العسكرة"، و"القمع الأمني"، و"التصميت"، و"سلب حقوق التظاهر السلمي"، إلخ. واضح أن نشاط تعيين الحدود ثقافي في جوهره، ذلك لأن ثقافة الحركة تخلع معانيها على الخصم الذي تشيد الحركة حدوداً بينها وبينه، كما أن أيديولوجيا الحركة هي التي تحدد خصومها.

وتفيد الحركة من التشويه (اتهامات العمالة، والخيانة، والتمويل) الذي يمارسه الخصم في تدعيم الحدود التي تشيدها، وتأكيد الهوية، وتحقيق تماسك الحركة وتضامن أعضائها، ومضاعفة شعبيتها. إذ تؤكد دوماً أن هذا التشويه ناتج عن وطأة الضغوط التي تمارسها الحركة على الخصم، وعن عجزه عن تصميت الحركة: "**إحنا دايماً الصوت الأعلى ضد أي نظام حاكم ... التشويه لإصرارنا على البقاء في الشارع**". ويمكن الدفع بأن الحركة تستعمل "التعرض للتشويه" كإطار يدعم الهوية وتماسك الحركة. ومع ذلك قد يدعم هذا الإطار الانشقاق: "**إحنا ناس بنضحي من وقتنا علشان بلدنا ... اللي يقولك حاسس من جوه إنهم ممولين، واللي بيقول إننا بلطجية، ومخربين، ومندسين، وعملاء ... بنتعامل بكل المهانة والإجرام والدموية، ولسه بنقول سلمية**".

والحقيقة أن رسم ثقافة الحركة حدوداً بين "**النحن**" و"**الهم**"، لا يعيّن أو يرسم فقط معالم صورة الخصم، ولكن يحدد أيضا صورة الذات. إذ تخلع ثقافة الحركة على "الذات" أو "النحن" معاني تناقض المعاني التي تخلعها على الخصم: "**حركة شبابية صادقة هدفها التغيير، والحرية، والعدل، والمساواة ... نحن نملك ما لا يملكه (الخصوم)، نحن نملك الإيمان، والأفكار، والقوة، ونملك الإخلاص، والإصرار، والتحدي**". وهكذا تؤثر ثقافة الحركة في تشكيل الهوية، كما أنها تعكس هويتها، وذلك في أن الناشطين يخلقون فضاءً ثقافياً تنال أصداؤه من الهوية العامة لأنصار الحركة (Whooley, 2007: 587).

(7) https://www.facebook.com/6aprilshabab

تخلق الحركة الاجتماعية، في صناعتها للحدود، قيماً وأبنية جماعية جديدة تصف وتصور بدقة ماهية هذه الحركات في علاقتها بفاعلين سياسيين آخرين. وتصير الهوية الجمعية واضحة وبارزة في مناشط الحياة اليومية التي تؤديها الحركة الاجتماعية. وتشكل الأنشطة المتنوعة التي تشارك فيها الحركة هويتها الجمعية عن طريق تمثيل هذه الهوية. إن الحركات لا تمتلك هوية جمعية فحسب، ولكنها تعمل بموجب هذه الهوية. وتشمل ممارسات الهوية صياغة المطالب، والتأطير/الأيديولوجيا، والثقافة، والقيادة، والبناء التنظيمي، وموارد الدعم. وتنتقي الحركة قادتها وأبنيتها التنظيمية، وتقسم القوة وقدرات اتخاذ القرار بما يتوافق مع هويتها الجمعية. وأخيراً، تنقل الموارد الخارجية التي تلتمسها الحركة رسالة ضمنية عن هدف النضال ومن يتحالفون معه وينصرونه.

إن الحركة الاجتماعية تتجاذبها قوى "الوحدة" و"الاختلاف"، ومن المقطوع به أن الوحدة في العديد من الحركات أمر طبيعي، لكن الوحدة تتطلب رسم حدود معينة، وتقارب المراتب، وإقصاء واستبعاد آخرين. لكن الوحدة التي نراها في المسيرات والتظاهرات – مثلاً – لا تخفي أن هناك اختلافات وصراعات داخلية قد تنتج رؤى جديدة أو تسبب تلفاً وضرراً. ويعمل نشطاء الحركة دوماً على ملاءمة اختلافاتهم أو تكييفها، والحفاظ على كونهم جبهة موحدة. وقد يتحول الاختلاف إلى انقسام وشقاق؛ لذلك تطور الحركة مهارات وإستراتيجيات تتيح العمل بما يتجاوز الاختلاف. وفي الغالب، يبدو بناء الوحدة في حركة معينة هدفاً في حد ذاته؛ ذلك أن الوحدة تبني الحركة بطرق مختلفة؛ إذ يركز رسم حدود بين "النحن" و"الهم" الصراع، ويولد الطاقة والحماسة والانفعال، ومعرفة من ينتمون إلى الحركة، ومن لا ينتمون، ويبدأ عملية إيجاد هوية الحركة وتشكيلها، ويحدد هدف النضال أو الصراع، ويحدد الإستراتيجيات التي سوف يستعملها نشطاء الحركة. وهكذا فإن الوحدة، والحدود، وهوية الحركة جميعها ضرورية لإنجاز مهمة النشاط السياسي. وتحتاج الحركة إلى وحدة الهدف، والوحدة الإستراتيجية بصورة مستمرة (Maddison & Scalmer, 2006: 113 - 114, 116, 133).

الوعي:

تفرز الحركة رؤى للعالم توجه ناشطي الحركة، وتشكل وعياً جمعياً. ويشير "الوعي" إلى الأطر التأويلية التي تنبثق من نضال الجماعة لتحديد وإدراك

مصالحها. وفي سياق معظم الحركات الاجتماعية يعني ذلك نمو "الوعي السياسي"، أو "وعي معارض". ويؤثر تشكل الوعي المعارض في طبقات الهويات الجمعية التي حددها ويليام جامسون على النحو الآتي: طبقة أو مستوى أعرض يتمثل في مجتمع الحركة – الناشطون في علاقتهم بأعضاء الحركة. والمستوى الثاني، وهو طبقة الحركة ذاتها. والمستوى الثالث وهو المستوى التنظيمي. ويشي ذلك بأن الهوية الجمعية تنشأ في سياقات تفاعلية صراعية، وأن الهوية الجمعية تعمل أو تؤدي وظيفة باعتبارها رأس مال ثقافياً يستخدم بشكل فعال وإستراتيجي لتحقيق المقاومة الجمعية القوية (Hunt & Benford, 2004: 445-446).

إن تشكل الوعي يُشرِّب الهوية الجمعية بهدف أو غاية أكبر عن طريق طمرها ودمجها داخل إطار أيديولوجي يلقي باللائمة على الظلم الذي تعبأ الحركة لمناهضته ومواجهته. وإذا كانت الحدود تعيّن وتحدد موضع الأشخاص كأعضاء في جماعة معينة، فإن وعي الجماعة هو ما يمنح أهمية كبيرة لجماعة معينة. وتشير نتائج البحوث إلى أن وعي الجماعة يتشكل عن طريق مجموعة من الميكانزمات وتشمل الكلام، والحكايات، وعمليات التأطير، وتأثير العاطفة أو الانفعال emotion work، والتفاعلات مع الخصوم وآخرين (Hunt & Benford, 2004: 445). كذلك يتشكل الوعي، وتتأكد الهوية، عن طريق المشاعر، والآمال، والذكريات، والخطط، وإدراك الآخرين والاعتراف بهم، والخبرة الروحية (Lindholm, 2007: 6).

ويؤكد هذا البحث ما خلص إليه العديد من الباحثين الذين قاربوا الكيفية التي من خلالها يتشكل الوعي المعارض والتضامن، ويتم تعزيزه عن طريق الحكايات المتداولة في الحركة. إذ تساعد الحكايات بتنويعاتها – التحول، الاستمرارية، الارتباط، الصراع – في تعيين الحدود وتحديد من هم خارج الجماعة، وتخلق وتدعم الوعي الجمعي بين أنصار الحركة. الشاهد على ذلك حكاية يرويها أحد أعضاء الحركة:

> **"سنة 2010، وقبل الثورة بشهور قليلة تم القبض علينا أنا ومجموعة من الأصدقاء من أمام قصر عابدين أثناء مشاركتنا في مظاهرة "لا للتوريث" ... ركبنا عربيات ترحيلات، وفضلت العربية تلف بينا الشوارع، وكنا بنهتف من شباك العربية يسقط يسقط حسني مبارك ... لا لمبارك أب وابن لا للعجلة والاستبن ... وفي الآخر اترمينا**

على طريق مصر إسماعيلية الصحراوي الساعة واحدة بالليل كل واحد بفرق مسافة 5 كيلو عن التاني ... أيام لا تُنسى وذكريات محفورة في الوجدان".

وتكشف بعض البحوث عن أن عمليات الذاكرة الجمعية المتنوعة، التي تشمل في معظمها الحكايات، تدعم تشكل الهويات الجمعية والوعي المعارض، وتحقق الوحدة والاستمرارية داخل الحركات (Hunt & Benford, 2004: 446).

وترتبط الهوية الجمعية ارتباطاً قوياً بالإدراك recognition، وخلق الارتباط، والاندماج. ويرافق الهويات الجمعية إدراك أو شعور بوجود هدف والتزام مشترك بقضية معينة، ويمكّن هذا الشعور أو الإدراك الناشطين والتنظيمات من النظر إلى ذاتها باعتبارها مرتبطة ارتباطاً لا ينفصم بفاعلين آخرين، ليسوا متطابقين أو متماثلين ولكن متوافقين أو متلائمين بالتأكيد، داخل تعبئة جمعية واسعة. وتمثل عبارة "**أنا أبريلي**" اتصالاً رمزياً لمشاعر الارتباط أو الالتزام العاطفي الذي من خلاله يخبر الشخص ذاته الشخصية autobiographical: "**إذا حد سألني "من أنت" أقول أنا أبريلي ... أنا شايف إن الحركة حياتي، وشغلي الأساسي برغم إني بشتغل فعلاً حاجة تانية**".

واضح أن الهوية الجمعية ترتكز على الوعي بالعضوية المشتركة، أو وعي أعضاء الحركة بكونهم ينتمون إلى جماعة لها اهتمام أو مصلحة مشتركة تتعارض مع نظام أو خصم مسيطر، وذلك على الرغم من أن معايير العضوية داخل الحركة غير ثابتة بصورة واضحة، وتعتمد بالأساس على الاعتراف والتقدير المتبادل بين الفاعلين. وهنا يقول قيادي بالحركة: "**لا يمكن حصر أعداد الحركة بشكل كبير ... الأعداد متحركة وإحنا بنفصل بين أعضاء تنظيميين فعليين وأعضاء مناصرين، وفيه المتعاطفين مع دعوة مثلاً يحضروا تظاهرة أو فعالية للحركة**".

ويستلزم بناء الهوية الجمعية أن يقوم الفاعلون بتكوين ارتباطات بين حوادث مختلفة، خاصة وعامة، متموضعة على نقاط مختلفة في الزمان والمكان، ويعد ذلك مهماً لخبرتهم، وينسجون هذه الحوادث في سرديات أو حكايات واسعة شاملة. وكنتيجة لذلك، لم يعد الفاعلون التنظيميون والأفراد المنخرطون في فعل جمعي يسعون إلى تحقيق أهداف معينة، فقد باتوا يعتبرون أنفسهم عناصر في عمليات تغير كبيرة وشاملة – أو مقاومة التغير.

ويعني بناء الهوية وتشكل الوعي، بحسب ما تبين الملاحظة بالمشاركة والمقابلات شبه الموجهة، أن شعوراً بالانتماء الجمعي يمكن أن يستمر حتى بعد انتهاء فعاليات احتجاجية أو حملة معينة: "**لا أخشى الإفصاح عن هويتي في أي مكان كأبريلي، عندي إحساس رهيب بالفخر لانتمائي لـ 6 أبريل أطهر شباب في مصر ... فخورة كوني أبريلية ... أبريلي وافتخر ... أبريلية للأبد ولآخر العمر**". وثمة نتيجتان على الأقل لاستمرار هذه المشاعر: الأولى، سهولة إحياء الحشد والتعبئة لتحقيق الأهداف نفسها، وذلك حينما تتكرر الظروف المواتية. إن الحركات تتذبذب وتترجح غالباً بين فترات قصيرة من النشاط العام، وفترات طويلة من الكمون يسود فيها تأمل الذات والإنتاج الثقافي (مرحلة ما بعد ثورة الثلاثين من يونيو). والنتيجة الثانية، أن تصورات أو تمثيلات العالم والهويات الجمعية التي تنشأ وتتشكل في فترة معينة يمكن أن تيسر، عن طريق التحول التدريجي، تشكل حركات وتضامنات جديدة.

يدعم تشكل وعي معارض التضامن والالتزام داخل الحركة، وللهوية الجمعية القوية تأثير في الحركة من خلال تشجيع التضامن، وتنشأ المشاركة من شعور بالتضامن الذي يتجذر، في رأي البعض، في تشكيل العلاقات التي تربط أعضاء جماعة معينة ببعضهم البعض. ويشمل التضامن تماهياً وتوحداً مع الجماعة وأعضائها "**إحنا ايد واحدة ... إيذاء شخص يمثل إيذاءً للكل**". وعلى الرغم من أن التضامن من الناحية التصورية أو المفاهيمية يتمايز عن الهوية الجمعية فإنهما متناسجان ومتشابكان. ويعرف التضامن، على ما يذهب ميلكسي Melucci، بأنه "قدرة الفعالين على إدراك الآخرين، وأن يتم إدراكهم بوصفهم ينتمون إلى نفس الوحدة الاجتماعية". باختصار يمثل التضامن توحداً مع جماعة معينة يشعر من خلاله الفرد بوحدة الهدف والمصير.

إن اشتراك الأفراد في مجموعة من الروابط الأولية مع آخرين يجعل السلوك التضامني متوقعاً، والشخص الذي تتضافر حياته مع الجماعة (عن طريق الصداقة، أو العضوية التنظيمية، أو شبكات الدعم غير الرسمية، أو العلاقات المشتركة مع من هم خارج الجماعة) له نصيب كبير في مصير الجماعة (Polletta & Jasper, 2001: 289). ويعني التضامن الذي يوسم الحركة الاجتماعية أن أعضاءها يترابطون ويتماسكون عن طريق خصوصيته، وعن طريق ما قرر الأعضاء أنه مشترك فيما بينهم ومختلف عما تمتلكه الجماعات الأخرى. يصطلح هربرت بلومر Blumer على ذلك "بروح

الجماعة" الخاصة بالحركة esprit de corps، التي تهيئها الأنشطة التي تتخذ صبغة شعائرية، والتي تدعم روابط الفرد العاطفية مع الجماعة وتدعم شعور أعضاء الحركة بالانتماء والوحدة. وهنا يقرر مانويل كاستلز Manuel Castells أنه عن طريق الانخراط في حركة معينة تكتشف اهتمامات مشتركة ويتم الدفاع عنها، وتصير الحياة مشتركة نوعاً ما، ويتم إنتاج معانٍ جديدة (Maddison & Scalmer, 2006: 114).

يتوافق إنتاج الهويات مع ظهور شبكات جديدة من علاقات الثقة بين فاعلي الحركة. وتضمن هذه العلاقات مدى من الفرص. إنها تمثل أساس تنامي شبكات الاتصال غير الرسمية وتطورها، والتفاعل، والدعم المتبادل عند الضرورة. فعضوية الحركة تعني الحصول على العون والتضامن من ناشطيها. وتعوض هذه الشبكات ندرة الموارد التنظيمية، ومحدودية الوصول إلى الميديا. ويجعل وجود مشاعر الهوية والتضامن الجمعي من السهل مواجهة المخاطر والشكوك أو مظاهر عدم اليقين المرتبطة بالفعل الجمعي. إن التماهي والتوحد مع حركة معينة يستلزم وجود مشاعر تضامن مع الأفراد الذين لا يرتبط بهم الشخص عادة عن طريق الاتصالات الشخصية المباشرة، ولكن الذين يشتركون معه في طموحات وقيم مشتركة.

يؤثر تشكل الوعي في التزام أعضاء الحركة، ولا ريب في أن الحركات الاجتماعية تعوض نقص الموارد المادية بوجود أفراد ملتزمين وإستراتيجية جيدة. وتشير كانتر Kanter إلى أن الالتزام commitment هو ربط الذات بمتطلبات العلاقات الاجتماعية، أو رغبة الشخص واستعداده لتنفيذ متطلبات نمط من أنماط الفعل الاجتماعي، والالتزام هو عنصر من عناصر الهوية وركيزة من ركائزها. وتحقق الهويات الجمعية الالتزام عن طريق تدعيم الارتباط بالقيادة، وأنساق المعتقدات، والتنظيمات، والشعائر، والجماعات، والشبكات والمواقع (Hunt & Benford, 2004: 440 - 448). ويحدث التجنيد في العديد من الحركات عن طريق صور التضامن القائمة. وفي هذه الحالات تحفز الروابط الأولية المشاركة عن طريق معايير الالتزام والتبادل (Polletta & Jasper, 2001: 290).

التفاوض:

وفيما يتعلق بميكانزم التفاوض، تشترك الحركات مع فاعلين سياسيين آخرين، تفرض أو تمثل هويتها المشتركة بصورة متواصلة، وتعمل على التأثير في المعاني الرمزية (Whooley, 2007: 586). ويشمل التفاوض الرموز والأفعال اليومية التي

تستعملها الجماعات الخاضعة لمقاومة وإعادة بناء أنساق الهيمنة القائمة. ويشير المفهوم إلى وفرة من الطرق التي يستعملها الناشطون لمقاومة التعريفات أو التصورات الاجتماعية السلبية، ومطالبة الآخرين بتقدير جماعات المعارضة، والتعامل معها بشكل مختلف: "**قامت عدة جهات قضائية بالتحقيق حول الحسابات البنكية والممتلكات لمؤسس الحركة، وبعض الأعضاء، وبعض الرموز الشبابية، والنشطاء، وأيضا بعض أقاربهم، وتم التأكد من عدم وجود تمويل، أو تحويلات مشبوهة**"[8].

ثمة قناعة مؤداها أن الهوية الجمعية إنجاز تفاعلي تفاوضي. وتمثل الهوية الجمعية عملية فيها ينتج الفاعلون ويصوغون الأطر المعرفية التي تمكنهم من تقييم بيئتهم، وحساب تكاليف وفوائد فعلهم. وتعد التعاريف التي يصوغونها، في جانب منها، نتيجة للتفاعلات التفاوضية وعلاقات التأثير، وفي جانب منها ثمرة للإدراك الانفعالي أو العاطفي. إذن، لا تمثل الهوية الجمعية خصيصة فردية على نحو تام، ولكنها بالأحرى تمثيل ثقافي، مجموعة من المعاني المشتركة التي يتم إنتاجها ويعاد إنتاجها، ويتم تفاوضها ويعاد تفاوضها، في تفاعلات الأفراد المطمورة في سياقات سسيوثقافية معينة. وتشير نتائج البحوث إلى أن الهوية الجمعية لا تنشأ فقط من التفاعلات بين الناشطين داخل حركة أو تنظيم حركة معين، ولكنها تتشكل أيضاً من العلاقات مع الحلفاء، ومن يعارضون الحركة بأسلوب معين، والمشاهدين المتفرجين مثل ميديا الأخبار المطبوعة والإلكترونية. هذه التفاعلات اعتبرها بينفورد Benford وهنت Hunt عمليات "تأطير" و"تأطير مضاد" و"إعادة تأطير" بين "مجالات الهوية" identity fields المناصرة، والمعادية، والمشاهدة. يشي ذلك بأن هجمات الهوية الصادرة عن الأنصار وغير المنتمين للحركة تسهم في تشكيل هوية الناشطين (Hunt & Benford, 2004: 447).

ويتفق معظم دارسي الحركات الاجتماعية على أن الحركات الاجتماعية تنشأ، وتحيا، وتستمر في الوجود في موقف صراع؛ إذ تنخرط الحركات الاجتماعية في صراعات مع خصوم. وتمتلك الحركات الاجتماعية، على هذا النحو، أواصر وروابط أكثر أو أقل استقراراً مع الجماعات الأخرى التي قد تدعم أو تشكل أنصاراً وحلفاء

(8) بيان بتاريخ 15/11/2011: **رداً على تشويهات إيجيليكس المزعومة.**
http://6april.org/modules/news/index.php?storytopic=2

معها. والحقيقة أن البحث عن حلفاء يمكن أن يصبح أمراً حاسماً ومهماً لبقاء الحركة. ويمكن لمعظم الحركات، فقط عن طريق توسيع الدعم، أن تأمل في إحداث أثر. وهكذا فإن تحدي خصم معين، واجتذاب أتباع وأنصار، يعد مهام وفروضاً أساسية تُناط بالحركات الاجتماعية (Rucht, 2004: 197).

وبناءً على ذلك يمكن الدفع بأن هناك عدة عمليات تؤثر في تشكيل الهوية، وهي: التحالف، والتعاون، والمنافسة، والصراع.

التحالف:

إن الحركات عندما تلتزم بمبادئ وأهداف عامة، وتستهدف خصوماً بعينهم، تميل إلى الارتباط بكيانات أخرى والتعاون معها، والدخول في تحالفات. ويوفر تنسيق المناشط والارتباط بقوى وكيانات أخرى تشترك مع الحركة في الأهداف نفسها دعماً قوياً لمواقف الحركة؛ لذلك تحرص الحركة على تكوين تحالفات مع جماعات خارجية، حركات أخرى، جماعات مصلحة، أحزاب سياسية، نخب، مفكرين، الميديا. ويرتبط مصطلح "التحالف" alliance بالشراكة، والتقارب، وروح الدعم المتبادل. ومع ذلك تميل التحالفات إلى أن تبقى محدودة الهدف والإطار الزمني. وبصورة نمطية، يتشكل التحالف وينبني من فاعلين يريدون الاحتفاظ باستقلاليتهم وتميزهم، ويتضمن إصراراً على بقاء الحدود والاختلافات بين الحلفاء. يتضح ذلك في توصيف الحركة لعلاقتها بالقوى السياسية المصرية: "**رغم أن قوامنا الرئيس من الشباب المستقل عن أي حزب أو تيار، إلا أن علاقتنا بالأحزاب والقوى السياسية هي علاقة احترام وتعاون متبادل، مع التشديد على استقلالية أفكارنا، وعدم تلونها بأي لون حزبي أو أيديولوجي**"[(9)].

وتتسم تحالفات الحركة بأنها متحولة ومؤقتة، وتتشكل بناءً على وحدة الهدف. وقد تحالفت الحركة منذ تأسيسها، وحتى اندلاع ثورة يناير، مع حركات وكيانات أخرى مثل حركة كفاية، وحركة الاشتراكيين الثوريين، والجمعية الوطنية للتغيير، وذلك في إطار هدف التغيير، وإزاحة نظام الرئيس السابق حسني مبارك. وفي أثناء ثورة يناير، وبعدها عملت الحركة ضمن تحالف عريض عرف بائتلاف شباب الثورة، الذي انضوت تحت لوائه كثرة من الحركات والكيانات التي شاركت في الثورة،

(9) http://6april.org/us.php

بالإضافة إلى حركات الإسلام السياسي مثل حازمون، وذلك في إطار هدف تحقيق أهداف الثورة، والإجهاز على نظام الرئيس السابق حسني مبارك، وانتزاع السلطة من المجلس العسكري، وتسليمها إلى سلطة مدنية منتخبة. وبعد وصول جماعة الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم تحالفت الحركة مع حركات وقوى مناهضة للرئيس مرسي، وذلك بهدف مقاومة النزعة العنصرية الإقصائية الاستحواذية التي وسمت نظام الإخوان المسلمين، والتخلص من إخفاقاته. ومنذ اندلاع ثورة يونيو، استعادت الحركة تحالفها مع جماعة الإخوان المسلمين والاشتراكيين الثوريين، وذلك في إطار هدف مقاومة العسكرة أو نظام تعتبره – جبهة ماهر – انقلابياً يكرس لسيطرة الجيش على الحياة في مصر.

وتبرز سمات التحول والطابع المؤقت المميزة لتحالفات الحركة في تحالفها المثير للجدل مع جماعة الإخوان المسلمين. وكان من أهم القضايا التي جمعت الحركة والجماعة قبيل الثورة، تزوير الانتخابات البرلمانية عام 2010، وتشكيل برلمان موازٍ: "**كنا ننسق مع الإخوان كجماعة لها تحرك في الشارع لكن كانوا بيخرسوا لو جبنا سيرة مبارك**". وقد دأبت الحركة على الدفاع عن الجماعة، تبدى ذلك في تنديد الحركة بحملة الاعتقالات التي شنها نظام الرئيس السابق حسني مبارك على كوادر الجماعة في عام 2009.

وتوطّد هذا التحالف في أعقاب ثورة يناير، خاصة خلال الانتخابات البرلمانية والرئاسية فيما عرف بتحالف فيرمونت، الذي رفضت الجبهة الديمقراطية الانضواء تحت لوائه. وصارت الحركة أداة تزود عن جماعة الإخوان في مواجهة منتقديها، على نحو مثير للسخرية: "**6 أبريل (أبريلي) بدقن ... واحد أبريلي كبر وطلعتله دقن**". وقد انهار تحالف الحركة مع الجماعة في أعقاب انهيار تحالف فيرمونت. ثم تشكل هذا التحالف مرة أخرى، في أعقاب ثورة يونيو، لدعم موقف الحركة مما تصفه بالعسكرة والفاشية العسكرية الانقلابية، واستدام هذا التحالف الذي جسد التوحد والتماهي التام لمواقف جماعة الإخوان والحركة، تبدى ذلك في مشاركة الحركة في تظاهرات الإخوان في ذكرى ثورة يناير عام 2015، التي عُرفت بأحداث المطرية، وذلك تحت مظلة هتافات وشعارات إسلامية.

واضح أن التعاون، أو حتى المنافسة، بين الحركات قد تستحيل إلى صراع بسهولة عندما يختلف الحلفاء أو شركاء التحالف، أو عندما يواجه التحالف انشطاراً لا يسمح بتسوية نتيجة لاختلاف الأهداف أو تغليب المصالح الخاصة.

التعاون:

ما كان لمعظم الحركات الاجتماعية أن تأتي إلى الوجود، أو تبقى، ما لم يكن هناك تعاون بين الجماعات والتنظيمات التي تعتبر نفسها جزءاً من كيان كلي. وعلى الرغم من أن المكونات قد تختلف في الحجم والشكل والأهداف والأنشطة المفضلة، فإنها تميل إلى الجاهزية للمشاركة في أنشطة أو أبنية مشتركة، مثل حدث احتجاجي أو حملة، إلخ (Rucht, 2004: 203).

يتجسد ذلك في التعاون بين جبهتي الحركة، فقد كشفت الملاحظة بالمشاركة والمقابلات شبه الموجهة عن أن أعضاء الجبهتين لا يكترثون بالصراع المحتدم بين قيادات الحركة، والانشقاق الواقع. ويؤكدون أن ثمة تعاوناً بقصد تحقيق أهداف مشتركة، وهنا يذكر قيادي بالجبهة الديمقراطية بالحركة: "**أن الجبهة الديمقراطية تحمل نفس الحلم، وهو التغيير ... الانشقاق في الحركة مش كامل فيه تعاون بين الجبهتين**". وعندما تتفق الحركة مع حركات أخرى على مناوأة خصم بعينه وتتماثل الأهداف، فإنها تميل إلى التعاون والدخول في تحالف يدعم مواقفها: "**ممكن حركة كفاية تكون مختلفة لكن لا اتخانق معهم ... فيه تعاون ... الخلاف غير مفيد ... هدفنا في النهاية إن مصر تبقى أحسن**".

المنافسة:

يحدد التوجه الثقافي، والتعددية، والتنافس، الحركة الاجتماعية، وتسهم في تشكيل هويتها (Girling, 2004: 35). ولا ريب في أن هناك العديد من الأسباب وراء انخراط الجماعات داخل حركة معينة في صراع تنافسي، من أهمها أن هذه الجماعات تختلف في ميولها الأيديولوجية، ومنطلقاتها الاجتماعية، وتفضيلاتها الإستراتيجية. وقد دفعت التفضيلات الإستراتيجية جبهتي الحركة إلى التنافس الذي تبدى – على سبيل المثال – في موقفهما من الانتخابات الرئاسية التي دعّمت فيها جبهة ماهر المرشح الإسلامي، في حين آثرت الجبهة الديمقراطية المقاطعة. وتنسحب أسباب التنافس بين كيانات داخل الحركة نفسها على التنافس بين الحركة وحركات أخرى. الشاهد على ذلك، موقف الجبهة الديمقراطية الداعم لثورة الثلاثين من يونيو، وموقف الاشتراكيين الثوريين الرافض لها.

الصراع:

تنشأ الهوية الجمعية من وضعية التحدي والصراع، سواء أكان هذه الصراع مع حركات أخرى كحركة الإخوان المسلمين باعتبارها حركة أصولية راديكالية بدت

داعمة في مرحلة معينة من تاريخ الثورة لنظام المجلس العسكري، وحركة تمرد التي تعتبرها 6 أبريل حركة داعمة للعسكرة أو "للانقلاب"؛ أم كان الصراع داخل الحركة الاجتماعية، بمعنى أن الهوية تتشكل بتأثير الفعل الجمعي الصراعي conflictual collective action، إذ ينخرط الفاعلون في الحركة الاجتماعية في صراعات سياسية وثقافية لمساندة أو معارضة التغير الاجتماعي. ويعني بالصراع في هذا السياق علاقة التعارض بين الفاعلين الذين يسعون إلى السيطرة على الحصة نفسها – سواء كانت قوة سياسية، اقتصادية، أم ثقافية.

إن التفاعل بين الحركة الاجتماعية وحركة مضادة countermovement يمثل سمة ثابتة تميز الحركات الاجتماعية المعاصرة، بل والسياسة المعاصرة. وتولد أي حركة اجتماعية لها أهميتها كحركة 6 أبريل معارضة من نوع ما، أو تجابه معارضة قوية. ذلك أن الحركة عندما تصيب نجاحاً يرى البعض في ذلك تهديداً لمصالحه. وهكذا تخلق الحركات معارضتها الخاصة، التي تتخذ أحياناً شكل الحركة المضادة التي تتبنى مطالبات تناقض وتعارض مطالبات الحركة الأصلية (Meyer & Staggenberg, 1996: 1631 - 1632).

وتعد الصراعات داخل الحركة الواحدة من الأمور الاعتيادية المألوفة نتيجة لصراع المصلحة بين قادة الحركة، ومسألة الديمقراطية داخل الحركة، ودور الأجهزة الأمنية في بث الفرقة والشقاق والتشرذم داخل الحركة، إضافة إلى دور الحركات المضادة في تكريس الانشقاق وإضعاف الحركة (اختراق الإخوان لحركة 6 أبريل). وهكذا ينتفي افتراض تجانس الفاعلين داخل الحركة الواحدة؛ إذ تتسم هوية الحركة بالدينامية إلى حد أن الحركات والأفراد يشعرون أنهم جزء من جماعة معينة، يحشدون ويعبئون لتأييد أو معارضة التغيير الاجتماعي، يتماهون مع عناصر مشتركة في خبراتهم الماضية والحاضرة والمستقبلية، ويُعدون الفاعلين الاجتماعيين أو السياسيين الآخرين مسؤولين عن الوضع السياسي الحالي الذي تتحداه الحركة وتعارضه. الشاهد على ذلك اتهام قادة الجبهة الديمقراطية لجبهة ماهر بالمسؤولية عما آلت إليه الأوضاع بعد تولي الإخوان مقاليد السلطة. واضح أن الحركة تحوي هويات متصارعة يمثل تفاوضها عملية معقدة يغلب عليها الصراع؛ وذلك نظراً لأن الإقصاء أو الاستبعاد والتمزق متضمن حتماً في تركيب الهوية وبنائها.

نخلص من كل ما سبق إلى أن هوية الحركة الاجتماعية تتسم بالطابع الدينامي

والتفاعلي، ويشكلها الصراع والتفاعل بين فاعلين سياسيين مختلفين. وتحوي الحركة هويات متعددة متصارعة لابد أن تسعى الحركة إلى بناء التضامن عبرها. وعندما أخفقت الحركة في بناء هذا التضامن وقع الانشقاق والتشظي. وتتجذر الهوية الجمعية في السياق السسيوثقافي وتتشكل به. ويؤثر هذا السياق في ميكانزمات وعمليات تشكيل الهوية مثل بناء الحدود، وتشكيل الوعي، والتفاوض، والتحالف، والتعاون، والمنافسة، والصراع.

مناقشة النتائج:

انطلق هذا البحث من تساؤل رئيس تمحورت حوله مشكلة البحث: ما الدور الذي تؤديه الهوية الجمعية في الحركات الاجتماعية الجديدة؟ وقد توخى الباحث في سبيل الإجابة عن هذا التساؤل، وتحقيق أهداف البحث، إطاراً نظرياً قوامه نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، ومنهجية أنثروبولوجية كيفية ترتكز على الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات شبه الموجهة، وتحليل الخطاب. وقد خلص البحث إلى عدة نتائج يتلخص أهمها فيما يأتي:

1 – يصوغ تنظيم الحركة ثقافة فرعية أو داخلية تسهم في تشكيل هوية جمعية وتدعم التضامن والالتزام داخل الحركة، وتحقق تكامل جماعة الحركة واستمراريتها. ويبيّن ذلك حضور الثقافة القوي، ومتعدد الأوجه في تشكل الحركة الاجتماعية وظهورها، وأنشطتها، وأن الحركات الاجتماعية هي المواقع التي تتشكل فيها الموارد الثقافية الجديدة، مثل الهويات والأيديولوجيات، بصورة متكررة. وتتفق نتائج هذا البحث مع رؤى نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة، التي تقارب سمات الحركات الاجتماعية الجديدة وثقافاتها. ومن أبرز هذه السمات: انتماء غالبية أعضاء الحركات الاجتماعية الجديدة إلى الطبقة الوسطى الجديدة، والتشكيك في أبنية الديمقراطيات التمثيلية، وميل الحركات الاجتماعية الجديدة إلى أن تكون تشاركية، وتجنبها تشكل نخب بيروقراطية داخل تنظيماتها، وابتعادها عن الأشكال الصارمة للتنظيم الرسمي والبيروقراطي، وتفضل الأشكال الفضفاضة والمرنة. وتتشكل الهوية الجمعية بثقافة الحركة الفرعية الداخلية، بتعبير آخر ترتكز الهويات الجمعية على التوجهات، والقيم، والاتجاهات، ورؤى العالم، وأساليب الحياة المشتركة، وكذا خبرات الفعل المشتركة (على سبيل المثال، قد يشعر الأفراد بأنهم أقرب إلى الأفراد الذين يعتنقون رؤى ما بعد مادية مماثلة، أو يؤثرون الفعل المباشر، دون التعبير عن

شعور قوي بتقارب طبقي أو عرقي أو نوعي). وهكذا تمثل الهويات الجمعية تناغماً وتشابكاً بين الفرد والأنساق الثقافية، أو تمثل مجموعات الاتجاهات والالتزامات وقواعد السلوك التي يقرها منتحلو هذه الهوية (Smith, 2002: 507).

2 – تدعم الحركة الاجتماعية – إذن – تشكل هويات جمعية تدفع الأعضاء إلى الانخراط في فعل جمعي. وتعتبر الهوية الجمعية إحدى نتائج الحركة الثقافية. وتمثل الثقافة جزءاً متكاملاً من هوية ناشطي الحركة. وتحدد الثقافة معنى العضوية في الحركة والانتماء إليها، والسلوكيات المتوقعة من هذه العضوية. يؤشر ذلك على أن الثقافة تؤثر في أبعاد المعنى، التي تشكل أساس الهوية الجمعية. وتتفق نتائج البحث مع رؤية روّجت لها نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة؛ مؤداها أن الناشطين أعضاء الحركة يتماهون مع الحركة وما تدافع عنه من سياسات، أو بمنطوق النظرية أن ناشطي الحركة الاجتماعية الجديدة لا يضعون تمييزات صارمة بين سياستهم وحيواتهم الخاصة، ويعتبرون السياسة مطمورة في الحياة الخاصة، وتتدفق منها.

3 – تتفق نتائج هذا البحث مع تصورات منظري الهوية الجمعية (خاصة ميلكسي) والحركة الاجتماعية الجديدة، التي تؤشر على أن الحركات الاجتماعية الجديدة تحقق نجاحاً، وتلقى قبولاً لدى مؤيديها بتقديمها للهوية والانتماء. وأن ناشطي الحركة أقل اهتماماً وانشغالاً بتراكم أو بمراكمة الموارد المادية وأكثر اهتماماً وانشغالاً بتدعيم الأفعال التعبيرية وتعزيزها، والموجهة بالهوية التي يتحدى شكلها المجرد أو الخالص العقلانية الأداتية للنخب السياسية. ويعتبر التركيز على الهوية فذاً في الحركات الجديدة، لأن سياسات الهوية تعبر أيضاً عن اعتقاد مؤداه أن الهوية تمثل بؤرة العمل السياسي، وينبغي أن تكون كذلك. ويعد التركيب الاجتماعي لهوية جمعية دالة أو ذات معنى من الناحية الرمزية إنجازاً رئيساً للحركات الاجتماعية الجديدة ومستلزماً من مستلزمات تحقيق أهدافها الأخرى. وتؤكد منظورات الحركة الاجتماعية الجديدة أن البحث الجمعي عن هوية يمثل مظهراً رئيساً من مظاهر تشكيل الحركة.

4 – إن تشكيل الهوية قصدي وإستراتيجي. بمعنى أن الحركة الاجتماعية تنزع، بصورة قصدية، إلى تشكيل هوية جمعية أو صورة ذاتية تميز جماعة الحركة، وتسهم في تحقيق أهدافها، ويتحقق ذلك عن طريق تشكيل وعي أعضاء الحركة. إن وجود هوية جمعية يدفع ويحفز الفعل الجمعي. ذلك أن الهوية توحد

أشخاصاً متباينين في وحدة متماسكة من خلال توفير إطار مشترك، وتعزيز التضامن الجماعي. وتتطلب الهوية الجمعية إدراكاً للعضوية في جماعة مترابطة لها حدود، ووعياً بأيديولوجيات تلك الجماعة، ومعارضة مباشرة لنظام سائد. وتجسد الهوية الجمعية تماثل (تماهي) الذات مع الآخرين، أي تماهي الذات وتماثلها مع الوعي بالاشتراك في خصائص مشتركة معينة (ثقافة) داخل جماعة معينة، ويشكل هذا الوعي هوية الجماعة، ويؤشر ذلك على التصور الأنثروبولوجي للهوية، الذي يؤكد وجود عناصر يشترك فيها الفرد مع آخرين.

5 – تسهم الهوية الجمعية في تعبئة الحركة، وتدعيم الانتماء والالتزام بأهدافها وغاياتها، وتعزيز التضامن الجمعي أو تضامن الجماعة. ويميل الأفراد الذين يشتركون في شعور بهوية مشتركة وتماهٍ مع جماعة معينة – إلى المشاركة في فعل جمعي (Staggenborg, 2005: 757). ويُكسب الفعل الجمعي الشخص شعوراً بالقوة والتمكين، ويدعم ويقوي الذات. ويقرر ويليام جامسون William Gamson أن "أي حركة تسعى إلى تعزيز الالتزام عبر فترة من الزمن لابد أن تجعل تركيب وتكوين الهوية الجمعية إحدى مهامها الرئيسة" (Hunt & Benford, 2004: 441). وتتخلق الهويات ويتم تدعيمها بعد التجنيد، وعن طريق التفاعلات داخل الحركات.

6 – هناك ثلاثة ميكانزمات أو عمليات مترابطة من خلالها تتراكب وتتشكل الهوية الجمعية، وهي: الحدود، والوعي، والتفاوض.

7 – لا تمثل الهوية الجمعية خصيصة فردية على نحو تام، ولكنها – بالأحرى – تمثيل ثقافي، مجموعة من المعاني المشتركة التي يتم إنتاجها ويعاد إنتاجها، ويتم تفاوضها ويعاد تفاوضها، في تفاعلات الأفراد المطمورة في سياقات سسيوثقافية معينة. والهوية الجمعية يتم تفاوضها وإعادة تفاوضها عن طريق الناشطين أنفسهم، وذلك على الرغم من أن أعضاء الجماعة يعملون بطريقة متواصلة لتحديد "نحن" جمعي في علاقتها بخصوم أو مناوئين (Smith, 2002: 506). يشي ذلك بأن هوية الحركة الاجتماعية تتسم بالطابع الدينامي والتفاعلي، ويشكلها الصراع والتفاعل بين فاعلين سياسيين مختلفين. والهوية الجمعية ليست ثابتة ولا فطرية، إذ تنشأ بالأحرى عن طريق الصراع حيث يتفاعل فاعلون سياسيون مختلفون. ويتفق ذلك مع تصور ميلكسي للهوية الجمعية، الذي ارتأى أنها غير ثابتة، ودائمة التشكل والتغير، وتتشكل في نشاط الحركة الاجتماعية (Earl, 2004: 509, 511).

8 – تحوي الحركة الاجتماعية هويات متعددة متصارعة لابد أن تسعى الحركة إلى بناء التضامن عبرها. وعندما تخفق في بناء هذا التضامن يقع الانشقاق والتشظي.

يمثل ظهور كثرة هائلة من الحركات الاجتماعية الاحتجاجية خلال السنوات القليلة الماضية تطوراً عميق الدلالة؛ إذ يؤشر على عجز المؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة عن استيعاب مطالب أجيال وقوى سياسية واجتماعية جديدة؛ ما دفع هذه الجماعات إلى تنظيم نفسها في شكل غير رسمي خارج الأطر المؤسسية القائمة. كما يؤشر على انبثاث الحيوية في المجتمع المدني المصري بعد فترة من الركود، ويدل على ظهور قوى سياسية واجتماعية جديدة تسعى إلى إعادة صياغة العلاقة بين المجتمع والدولة واستعادة ما صودر من الحقوق والحريات السياسية. وهكذا، اتسعت دوائر الاحتجاج قبيل ثورة يناير وفي أعقابها. واليوم تشهد دوائر الاحتجاج انحساراً، لا زوالاً. ويُنذر استمرار الشكاوى والمظالم، واتساع رقعة الطبقة الوسطى الجديدة، وضعف الأطر الحزبية، بتصاعد النشاط الاحتجاجي، وإعادة تكتيل الحركات المنحسرة، وتشكل حركات أخرى جديدة. ويؤشر تنامي حركات المقاومة الاحتجاجية، والتحرر من ربقة الخوف وثقافته، على تغير ثقافي بازغ، وعلى تنامي ثقافة الاحتجاج. كما "أن التراجع الذي مُنيت به السياسات الاجتماعية والاقتصادية للدولة، ونكوصها عن أداء أدوارها في إشباع الاحتياجات الآنية للذات، ساهم في كسر حاجز الخوف الذي ارتبط تاريخياً بسلطة الدولة" (شحاتة صيام، 2013: 325).

المراجع:

شحاتة صيام. (2013). **الفرعون والصراع الطبقي: من الدولة القائدة إلى الدولة التابعة**. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.

كامل السيد مصطفى. (2012). **الحركات الاجتماعية القديمة والجديدة ومستقبل الثورة المصرية: خواطر جنوب شرق آسيا**.

Retrieved (23 - 1 - 2012) from http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=23012012&id=85ed55a9-637a-4d52-9de4-386ab032005f

Abercrombie, N., Hill, S., & Turner, B. S. (2006). *The penguin dictionary of sociology*. London: Penguin Books.

Almeida, P. (2008). Social movements. In, Darity, W. A., *International Encyclopedia of the Social Sciences*, London: Macmillan.

Alvarez, S. E., Dagnino, E., & Escobar, A. (2008).Introduction: the cultural and the

political in LatinAmerican social movements. In, Alvarez, S. E., Dagnino, E., & Escobar, A., *Cultures of politics / politics of cultures: re - visioning Latin American social movements*. Colorado: Westview Press.

Awah, P. K. (2014). An ethnographic study of diabetes: implications for the application of patient centered care in Cameroon. *Journal of Anthropology*. Vol 2017: 1-12.

Barth, F. (Ed.) (2000).Boundaries and connections. In, Cohen, A. P., *Signifying identity: anthropological perspectives on boundaries and contested values* London: Routledge.

Bloor, M., & Wood,F. (2006). *Keywords in qualitative methods a vocabulary of research concepts*. London: Sage Publications Ltd.

Bernstein, M. (2005). *Identity politics, Annual Review of Sociology*, vol. 31, 47-74.

Bruce, S. & Yearley, S. (2006). *The sage dictionary of sociology*, London, Sage Publications.

Buechler, S. M. (2007). New social movement Theory. In, Ritzer, G. (Ed.), *The blackwell encyclopedia of sociology*. Blackwell Publishing Ltd.

Christiansen, J. (2011a).Four stages of social movements, in, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California: Salem Press.

Christiansen, J. (2011b). Framing theory. In, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California, Salem Press.

Christiansen, J. (2011c). Narrative and social movements. In, The Editors of Salem Press, *Theories of social movements*. California: Salem Press.

Christiansen, J. (2011d).Social movements and violence. In, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California: Salem Press.

Coleman, S. & Collins, P. (2006). *Locating the field: space, place and context in anthropology*. Oxford, Berg.

Cook, K. E. (2008). In-depth interview. In, Given Lisa M., *Encyclopedia of qualitative research methods*. California: Sage Publications.

Crossley, N. (2002). *Making sense of social movements*. Philadelphia: open university press.

Della Porta, D., & Diani, M. (2006). *Social movements*: An introduction. Oxford: Blackwell publishing.

Dentice, D. & Williams, J. L. (Eds.) (2008). *Social movements: contemporary perspectives*. Cambridge Scholars Publishing.

Dogan, M. (2005). Erosion of confidence in thirty European democracies. In, Dogan, M. (Ed.), *Political mistrust and the discrediting of politicians*. Leiden, Brill.

Donk, W., Loader, B. D., Nixon, P. G., and Rucht, D. (2004). *Cyberprotest: new media, citizens and social movements*. London and New York: Routledge.

Earl, J. (2004). The Cultural consequences of social movements. In, Snow, D. A., Soule, S. A., and Kriesi, H. (Eds.). *The blackwell companion to social movements*. Oxford: Blackwell Publishing Ltd.

Edelman, M. (2001).Social movements: changing paradigms and forms of politics. *Annual Review of Anthropology*, vol. (30), 285-317.

Ellen, R. F. (Ed.) (1984). *Ethnographic research: A guide to general conduct*. New York: Academic Press.

Escobar, A. (2007). Identity. In, Nugent, D. & Vincent, J. (Ed.). *A companion to the anthropology of politics*. Oxford: Blackwell Publishing.

Eyerman, R. (2009). Social movements, In, Turner, B. S. (Ed), *The Cambridge Dictionary of Sociology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Fetterman, D. M. (2008). Ethnography, In, Given, L. M. *Encyclopedia of qualitative research methods*. California: SAGE Publications.

Flynn, S. I. (2011). *New social movement theory*. In, The Editors of Salem Press, Theories of social movements, California: Salem Press.

Gabe, J., Bury, M. & Elston, M. A. (2004). *Key concepts in medical sociology*. London: Sage Publications.

Girling, J. (2004). *Social movements and symbolic power: radicalism, reform and the trial of democracy in France*. New York: Palgrave Macmillan.

Gledhill, J. (2000). *Power and its disguises: anthropological perspectives on politics*. London: Pluto Press.

Goldberg, C. A. (2005). Haunted by the specter of communism: collective identity and resource mobilization in the demise of the workers alliance of America, in, Swartz, D. L. and Zolberg, V. L., After Bourdieu: Influence, Critique, Elaboration, New York: Kluwer Academic Publishers.

Groenewald,T. (2008). *Memos and memoing* In, Given, L. M. *Encyclopedia of qualitative research methods*. California: SAGE Publications.

Heidi, J. (2008). *Content analysis*. In, Given, L. M., Encyclopedia of qualitative research methods, California: SAGE Publications.

Hoonaard, D. K. & Hoonaard, W. C. (2008). Data analysis. In, Given, L. M. *Encyclopedia of qualitative research methods* California: SAGE Publications.

Howard, J. A. (2000). The social psychology of identities. *Annual Review of Sociology*, vol. 26(1): 367-393.

Hughey, M.W. (2008). Social constructionist theory, Parrillo Vincent N. (Ed.), *Encyclopedia of social problems*. California: Sage Publications.

Hunt, S. A. and Benford, R. D. (2004). Collective identity, solidarity, and commitment, in, Snow, D. A., Soule, S. A., and Kriesi, H. (Eds.). *The Blackwell Companion to Social Movements*. Oxford: Blackwell Publishing Ltd.

Jan, E. S. (2006).Identity theory, in, Burke, P. J. (Ed), Contemporary social psychological theories, Stanford, Stanford University Press.

Jasper, J. M. (2007a). Social movements. In, Ritzer, G. (Ed.), *The Blackwell Encyclopedia of Sociology*. Blackwell Publishing Ltd.

Jasper, J. M. (2007b). Cultural approaches in the sociology of social movements. In, Klandermans, B. and Roggeband, C., *Handbook of social movements across disciplines*. New York: Springer.

Johnston, H. (2004). A methodology for frame analysis: from discourse to cognitive schemata, In, Johnston Hank & Klandermans Bert (Eds.). *Social Movements and Culture*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Johnston H. (2008). *Social movements*. In, Parrillo, V. N. (Ed.), *Encyclopedia of social problems*, California, Sage Publications.

Johnston, H. & Klandermans, B. (2004). The cultural analysis of social movements, in, Johnston, H. and Klandermans, B. (Eds.). *Social Movements and Culture*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Klatch, R. E. (2002). The development of individual identity and consciousness among movements of the left and right, in, Meyer, D. S., Whittier, N., Robnett, B. (Ed.). Social movements: identity, culture, and the state, New York: Oxford University Press.

Kriesi, H. (1989). New social movements and the new class in Netherlands. *The American Journal of Sociology*, vol. 94, no. 5 (Mar.).

Kriesi, H. (2004). Political context and opportunity, in, Snow, D. A., Soule, S. A., and Kriesi, H. (Eds.). The Blackwell Companion to Social Movements. Oxford, Blackwell Publishing Ltd.

Kuper, A. & Kuper, J. (2005). *The social science encyclopedia*. London: Routledge.

Lim, M. (2012). Clicks, cabs, and coffee houses: social media and oppositional movements in Egypt, 2004 - 2011. *Journal of Communication*, vol. 62, 231-248.

Lindholm, C. (2007). *Culture and identity: the history, theory, and practice of psychological anthropology*. Oxford: Oneworld Publications.

Maddison, S. & Scalmer, S. (2006). *Activist wisdom: practical knowledge and creative tension in social movements*. Sydney: A UNSW Press.

Marranci, G. (2008). *The anthropology of Islam*. Oxford, Berg.

Marvasti, A. B. (2004). *Qualitative research in sociology*. London: SAGE Publications Ltd.

McIntyre-Mills, J. J. (2005). *Global citizenship and social movements: creating transcultural webs of meaning for the new millennium*. Amsterdam: Harwood Academic Publishers.

Melucci, A. (2004). The process of collective identity, in, Johnston, H.and Klandermans, B. (Eds.). *Social Movements and Culture, Minneapolis*, University of Minnesota Press.

Meyer, D. S. & Kretschmer, K. (2006). Social movements. In, Bryant, C. D., Peck, D. L., *21st century sociology: A reference handbook* California: Sage Publications.

Meyer, D. S. & Staggenberg, S. (1996). Movements, countermovements and the structure of political opportunity, *American Journal of Sociology*, vol. 101, No. 6 (may),1628 - 1660.

Motta, S. C. & Nilsen, A. G. (2011). *Social movements. In the global south: dispossession, development and resistance*, Palgrave Macmillan.

Opp, K. (2009). *Theories of political protest and social movements: a multidisciplinary introduction, critique, and synthesis*. London and New York: Routledge.

Paley, J. (2002). Toward an anthropology of democracy. *Annual Review of Anthropology*, vol. 31, 469 - 96.

Pichardo, N. A. (1997). New social movements: a critical review, *Annual Review of Sociology,* vol. 23,pp. (411 - 30).

Platt, G. M. & Williams, R. (2002). Ideological language and social movement mobilization: a sociolinguistic analysis of segregationists ideologies, *Sociological Theory*, vol. (20): 3, November: 328-359.

Polletta, F. & Jasper, J. M. (2001). Collective identity and social movements, *Annual Review of Sociology*, vol. (27): 283-305.

Power, T. J. & Jamison, G. D. (2005). Political mistrust in Latin America. In, Dogan, M. (Wd.), *Political mistrust and the discrediting of politicians*. Leiden, Brill, p. (58).

Robertson, D. (2004). *The Routledge dictionary of politics*. New York: Routledge.

Robnett, B. (2002). External political change, collective identities, and participation in social movement organizations. In, Meyer, D. S., Whittier, N., Robnett, B. (Ed.). *Social movements: identity, culture, and the state*. New York: Oxford University Press, 2002.

Rucht, D. (2004). Movement allies, adversaries, and third parties. In, Snow, D. A., Soule, S. A., and Kriesi, H. (Eds.). *The blackwell companion to social movements* Oxford: Blackwell Publishing Ltd.

Salman, T. & Assies, W. (2007). Anthropology and the study of social movements, In, Klandermans, B. and Roggeband, C., *Handbook of social movements across disciplines*. New York: Springer.

Sandvoss, C. (2006). Social constructionism. In, Turner Bryan S., The Cambridge Dictionary of Sociology, Cambridge University Press.

Sharp, G. (2007). The technique of nonviolent action, quoted in, McCarthy, C., The Class of Nonviolence, Center for Teaching Peace, Washington, D.C.

Smith, J. (2002). Bridging global divides? strategic framing and solidarity in transnational social movement organizations. *International Sociology*, December, Vol. 17 (4): 505-528.

Smith, J. (2008). *Social movements for global democracy*. Baltimore: The Johns Hopkins University Press.

Staggenborg, S. (2005). Social movement theory, in, Ritzer, G. (Ed.). *Encyclopedia of social theory*. California: Sage Publications.

Steinberg, M. W. (1992). Recent social movement theory: moving from the theoretical margins to main street. *Sociological Forum*, vol. 7, No. 3: 55-551.

Taylor, V. & Whittier, N. (2004). Analytical approaches to social movement culture: the culture of the women's movement. In, Johnston, H. and Klandermans, B. (Eds.). *Social Movements and Culture*. Minneapolis, University of Minnesota Press.

The Editors of Salem Press (2011). *Theories of social movements*. California: Salem Press.

Webster,F. (Ed) (2001). *Culture and politics in the information age: a new politics?*, New York: Routledge.

Whittier, N. (2002). Meaning and structure in social movements. In, Meyer, D. S.,

Whittier, N., Robnett, B. (Ed.). *Social movements: identity, culture, and the state*. New York: Oxford University Press.

Whooley, O. (2007). Collective identity, in, Ritzer, G. (Ed.) The Blackwell Encyclopedia of Sociology, Blackwell Publishing Ltd.

Wienclaw, R. A. & Howson, A. (2011). Major social movements. In, *The Editors of Salem Press, Theories of social movements*. California: Salem Press.

Wieviorka, M. (2005). After new social movements. *Social Movement Studies*, Vol. 4, No. 1, May: 1-9.

Williams, R. H. (2007). Social movements and culture. In, Ritzer, G. (Ed.), *The Blackwell Encyclopedia of Sociology*. Blackwell Publishing Ltd.

Witte, J. C., & Mannon, S. E. (2010). *The internet and social inequalities*, New York: Routledge.

Wolff, K. (2007). Content analysis. In, Ritzer, G. (Ed.), *The Blackwell Encyclopedia of Sociology*. Blackwell Publishing Ltd.

Wood, A. F., & Smith, M. J. (2005). *Online communication: linking technology identity, and culture*. Mahwah: Lawrence Erlbaum Associates.

Woodward, K. (Ed.) (1997). *Identity and difference*. London: Sage.

Zirakzadeh, C. E. (2006). *Social movements in politics: a comparative study*, New York, Palgrave Macmilla.

قدم في: سبتمبر 2015
أجيز في: مارس 2016